دكتور نجيب الكيلاني

أعداء الإسلامية



مؤسسة الرسالة

دكتور نجيب الكيلاني

أعداء الإسلامية

مؤسسة الرسالة

الطبعة الثانية

١٤٠١هـ - ١٩٨١م



مؤسسة الرسالة بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة
هاتف: ٣١٩٠٣٩ - ٢٤١٦٩٢ ص.ب: ٧٤٦٠ برقياً: بيوشران

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

لقد استطاع الأعداء أن يوقعونا فى بحر من الحيرة واضطراب وقلق ، بما سلطوه علينا من أفكار متناقضة ، وفنون مدمرة ، وسياسات خبيثة ، وهكذا غرقنا فى طوفان من البلبلة والشك والتشويه العقائدى وضربنا فى أعز ما نملك ألا وهى عقيدتنا الخالدة الصامدة ، وكان ذلك « العدوان » ـ ان صح التعبير ـ مدبرا بالمكر والخديعة ، ومدعما بكل الأسلحة الفتاكة ، حتى يظل مسيطرا على ثرواتنا الكثيرة المتنوعة التى هى عماد حياته ، وعناصر تقدمه وتفوقه ، وأساس حضارته ونفوذه ، وحاول العدو جاهدا أن يبقينا ضعفاء ممزقين متناحرين ، وهو بذلك يضربنا من الداخل ، ويوفر على نفسه عناء الحشود والتضحيات ، وان كان فى بعض الأحيان ـ عند الضرورة ـ يلجأ الى العدوان العسكرى السافر ، وخاصة عندما يجد نفسه فى حاجة ماسة الى ذلك ، لم يترك العدو اذن سلاحا الا واستخدمه ضدنا ، وظل دائما فى حالة من الاستعداد واليقظة والتعبئة المادية والمعنوية ، حتى لا يدع أية فرصة الا ويستغلها ، لأن المسألة فى نظره مسألة حياة أو موت بالنسبة له ، وما اسرائيل الا وسيلة من وسائله الشرسة .

ازاء ذلك كله نرى أنفسنا فى حالة دفاع عن النفس ضد عوامل الابادة والافناء ، ولعل هذا من أعنف المعارك التى فرض علينا أن

نخوضها فى تاريخنا الطويل ٠ واذا لم ندرك هـذه الحقيقة سوف نسقط سقطة بشـعة ، نتحمل نحن وزرها ، ونجـنى على مسـتقبل الأجيال الجديدة ، التى ستجد نفسها فى موقف صعب ٠٠ ومن هنا كان لابد لنـا أن نبدأ من جديد ٠٠ فنعرف من نحن ؟ وما هى عقيدتنا المنوط بها النجاة والخلاص والتحرر ؟ ؟ ومن هم أعداؤنا ؟ وما هى أساليبهم ، وكيف نواجه مخططاتهم وضرباتهم ؟ وكيف نعد أنفسنا لمعركة المصير ؟ ؟ ٠٠

والهدف من وراء ذلك كله أن يكون لدينا قناعة تامة بمـا نؤمن به ، وأنه هو الطريق الوحيد للخلاص ، وادراكنا السليم لمـا نعانيه من مؤامرات وأحقـاد يجعلنـا نحشـد جهودنا ، ونوجهها الوجهـة الصحيحة ، ولن يستطيع جيلنا الحائر أن يصل شاطىء اليقين والثقة والاطمئنان الا اذا اتخذ من دينه دواء لعلله ، وسلاحا فى معركته ٠

ان الطبيب قبل أن يشخص الداء ، لابد أن يعرف شكوى المريض وعلامات المرض وأعراضـه وتاريخه وتطوره ، وأن يجرى الفحوص الضرورية التى تؤكد صدق نظريته ، ودرجة خطورة الداء ، ومن ثم فانه يستطيع أن يضع يده على الحقيقة ، ويعرف الطريق الى العلاج الحاسم ٠٠ وفى هذا الاطار تدور محاولاتنا من أجل الكشف عن علتنا وعن أسلوب النجاة من أخـطارها ومضاعفاتها ٠٠ وهى فى الواقع محاولة أقدمها لأجيالنا وللشباب منهم خاصة الدعاة الى الله ٠٠

فلنحاول معا أن نرتاد هذه الآفاق بجد ودأب ، آملين أن نصـل الى خطة عمل موحـدة ، مستلهمة من تراثنا العظيم ، ومن تجربتنا الحضـارية الاسلامية الأصـيلة ، والله هو الموفق لمـا فيه الخير والسداد ..

شرشابة فى ١٦ رجب ١٣٩٧ هـ

٣ يوليو ١٩٧٧ م

نجيب الكيلانى

ما هي الاسلامية ؟

الاسلامية منهج فى الفكر والسلوك ، ومن ثم فانها تجمع بين النظرية والتطبيق ، وهذا المنهج منهج ربانى ، وليس من صنع البشر « صبغة الله ، ومن أحسن من الله صبغة » ، فالاسلامية بتعبير آخر هى الدين الاسلامى ، وقد أراد الله لعباده بها خير الدنيا والآخرة ، وجعلها الله سبحانه وتعالى أساسا لحياة متوازنة يسعد فيها الفرد والمجتمع ، ولذا كان محورها الاخاء الصادق ، ولحمتها العدل الأمثل ، وقوامها المحبة ، تضىء جنباتها بالايثار والتضحية ، وتخفق أعلامها بالطاعة لله ، والعمل من أجل مرضاته ، وفى رحابها يعيش الانسان عابدا لله وحده ، وهذه العبادة أسمى وأكبر من الطقوس الشكلية ، لأنها عبادة باللسان والقلب والعقل والعمل ، لا تلوثها أحقاد طبقية ، ولا نوازع دموية ، ولا ينحرف بها هوى النفس عن الجادة ، ينطبق عليها قول محمد صلى الله عليه وسلم « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » فالمؤمن الخاشع فى المحراب يؤدى صلاته ونسكه عابد ..

والمجاهد فى ميدان الجهاد الأسمى عابد ..

والعامل فى مصنعه أو حقله عابد ..

وطالب العلم فى قاعة الدرس ، أو فى مختبر التجارب العلمية عابد ..

والتاجر الذى يرعى حق الله ، ولا يغش فى تجارته عابد ..

والمرأة التى تسهر على راحة زوجها وأولادها ، وتكدح من أجلهم عابدة ..

والقاضى الذى يحكم بين الناس بالعدل ، ويتحرى الحقيقة عابد.

والطبيب الذى يخفف آلام المرضى ، ويتخذ مختلف الوسائل للقضاء على الداء عابد ..

وقس على ذلك كل فرد من أفراد المجتمع يؤدى واجبه بأمانة واخلاص ، ويرعى حقوق الله وحقوق الناس ، ولا يخشى أحدا الا الله ، ولا يقصد من وراء عمله الا وجه الحق جل وعلا ..

فالاسلامية ان صح التعبير فلسفة الهية شاملة تغطى وجه الحياة بكل نواحيها وصورها ، سواء فى العلاقات الانسانية ، أو الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية ، وفى المسائل التشريعية أو القانونية ، وكذلك العلاقات الدولية ، والاحتكاكات العسكرية ، والابتداعات الأدبية والفنية ، وليس هذا المفهوم الشامل تقليدا لأى فكر من أفكار الفلاسفة القدامى أو المحدثين ، ولا محاولة مصطنعة لابراز الدين الاسلامى فى صورة غريبة عنه ، من أجل الترويج له ، أو الدفاع عنه ، فى مواجهة الزحف الفكرى والعقائدى الذى يسود العالم الحديث بآرائه ومبتكراته ، وانما كان هذا المفهوم الشامل للدين واقعا تاريخيا ، فقد قدم الاسلام تجربة حية قوية ، ناطقة بكل هذه المعانى طوال حقب التاريخ ، ومن وراء هذه التجربة كان التراث الاسلامى المسجل حافظا لكل تلك القيم ، فهى مدونة فى القرآن كتاب الله المنزل ، وفى أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وفى سيرته

وأعماله وفيما استقاه الصحابة والتابعون من هذين النبعين الخالدين، حيث انعكست تلك القيم والأفكار على أقوالهم وأعمالهم وسلوكهم ، فنحن الآن أمام تجربة رائدة مكتملة الأداء من حيث التنظير والتطبيق، ومن حيث النماذج البشرية التى أذهلت العالم بقدراتها الفائقة وطاقاتها الهائلة ، ومنجزاتها الرائعة ، وحضارتها الفذة التى كانت – بالمقاييس الانسانية – أعظم حضارة عرفها التاريخ ٠٠

تلك الحضارة التى جعلت شعارها التوحيد ، فلا معبود الا الله ، ولا خضوع لقوة من قوى الأرض ، سواء تمثلت هذه القوة فى فرد من الأفراد ، أو جيش من الجيوش ، أو ثروة من الثروات ، أو دولة من الدول ، ومن هنا تحررت ارادة الانسان من كل خوف ، وتنزهت عن عبادة أى وثن من الأوثان ، ورفعت رأسها فى شموخ وكبرياء ، ولم تخفض جباهها الا لله الواحد القهار وصدق شاعرنا اذ يقول :

عشنا أعزاء ملء الأرض ما لمست
جباهنا تربها الا مصلينا
لا ينزل النصر الا فوق رايتنا
ولا تمس الظبى الا نواصينا

وكان من شعارات هذه الحضارة أيضا « لا اكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغى ٠٠ » (١) فلا يساق الناس بالعسف والارهاب لمجرد اختلافهم فى الرأى مع حاكم من الحكام ، ولا وجود للتصفيات

---

(١) البقرة – آية ٢٥٦

الجسدية أو ازهاق الأرواح ظلما وحقدا ، ولا يلقى بالناس فى غياهب السجون بسبب رأى يرتأونه ، أو نقد يوجهونه ، ولا تشرد الأطفال والنساء بسبب اتهام باطل يوجه الى عائلهم ، لقد كان لكل فرد الحق فى أن يقول ما يشاء ، فيتقارع الناس الحجة بالحجة ، والدليل بالدليل ، فتثرى الحياة بالجدل البناء ، والآراء الناضجة ، تحت راية الحب والحرية والاخاء ، وفى هذه الحضارة التى باركتها العناية الالهية ، ترعرعت القيم الفاضلة ، وزالت المفاسد والأوهام والخرافات، وتألقت المواهب الانسانية فى كل ناحية ، وخطت الفتوحات العلمية خطوات واسعة الى الأمام ، وفتحت النوافذ والأبواب لمختلف ألوان الفكر والثقافة ، وعاش الانسان آمنا على نفسه وأسرته ومستقبله ، لا يمزقه الغدر ، ولا يشله الخوف ، ولا يمسخه حاكم جبار لا يرحم ، وكانت هذه الحضارة الفريدة ترجمانا أمينا واقعيا لمعنى الاسلامية . كما كانت هذه الحضارة بتراثها وعلومها وتجاربها هى المفتاح لعصر التقدم العلمى والتكنولوجى الذى حملت لواءه أوربا فى القرون التالية ..

وكان من شعارات هذه الحضارة أيضا التقنين .. نعم .. فقد وضعت الدساتير والقوانين واللوائح التى تنظم العلاقة بين الانسان وأخيه الانسان ، وبين الحاكم والمحكوم ، وبين العامل وصاحب العمل ، وبين الغنى والفقير ، وبين الغالب والمغلوب فى الحروب ، وبين الدولة وجاراتها من الدول الأخرى ، وبين القائد والجند ، وبين الزوج والزوجة (الأحوال الشخصية) ، وبين الأب وأبنائه ، ... الخ .

هذا الشمول الفذ فى العلاقات ، وهذا التقنين البارع ، لم نجد له

مثيلا من الحضارات السابقة، لقد بلغ درجة من الرقى والكمال والمثالية ، عجزت عنها كل الفلسفات القديمة والمعاصرة ، ومن ثم اتصفت بصفة الاعجاز ، فلا يستطيع فكر من الأفكار ، ولا فلسفة من الفلسفات أن تصل الى مستواها المذهل ، ثم أليس عجيبا أن يحظى المجتمع الاسلامى بهذا التقنين أو التشريع المثالى الرائد منذ أربعة عشر قرنا من الزمان ، مع أننا فى هذا العصر نرى دولا كثيرة تلجأ الى هدم الدساتير والقوانين ، وتهدم موازين العدل والحرية ، وتعتصم بالسلطات الاستثنائية ، والى القيود الغريبة لكبت الحريات ، والاحتكام الى شريعة الغاب ، والتفرقة العنصرية ، وترتكب أبشع المظالم والحماقات باسم الحفاظ على أمن الدولة وأمن المواطنين وذلك كله فى الواقع حيل ساذجة للاحتفاظ بالسلطة ، والتشبث بكراسى الحكم ، واغتصاب المغانم الحرام من أيدى التعساء والمساكين الذين لا حول لهم ولا قوة ؟ ؟ أليس هذا عجيبا ؟ ؟ ..

وكان من أبرز معالم هذه الحضارة الاسلامية أن « المسلمين تتكافؤ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم » حسبما ورد فى الهدى النبوى ، وأن أكرمهم عند الله أتقاهم كما نص القرآن الكريم ، فأصبح الانسان فى ظل المعانى الاسلامية الخالدة فردا حرا قادرا على العطاء الأمثل ، له حقوق ، وعليه واجبات ، تتفق والطبيعة الانسانية ، وتلتزم بقيم العدل والخير والمساواة ، ولا يتميز هذا الفرد بحسب ولا نسب ولا لون ولا جنس ، ولا انتماء لكبير أو صغير ، أو حاكم أو محكوم ، وانما تميزه ينبع من العمل الصالح المفيد الذى يخدم به دينه وأمته ونفسه ، وكانت هذه الصورة الزاهية ، هى وليدة

المجتمع القرآنى ، المجتمع الفاضل الذى تمثل قيم الاسلام ومعانيه فى القول والسلوك ، وفى الوسيلة والهدف ، وفى السلم والحرب ، وفى المسجد والشارع والحقل والمصنع وساحة الجهاد وفى البيت ، وفى السر والعلن « قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى ، وسبحان الله وما أنا من المشركين » (١) ٠

من هذه العناصر الأصيلة تكونت شخصية الفرد المسلم ، تلك الشخصية ذات الملامح الواضحة المحددة ، التى استطاعت أن تحطم الحاجز بين النظرية والتطبيق ، فأصبح الشعار عملا وسلوكا ، وتحولت الأفكار الى كائنات حية تدب على الأرض ، وتمشى بين الناس ، وأصبحت الآيات القرآنية ، وكذلك الأحاديث والأعمال النبوية حركة وفعلا ايجابيا ، فعاش الناس فى رضى واطمئنان ، وامتلأت قلوبهم بالثقة والأمل ، وزخر المجتمع الاسلامى بالرجال الذين يحملون المسئولية عن وعى وبصيرة ، يكافحون فى ايمان وصبر ، لا يريدون غير وجه الله ، وتوارت وساوس النفاق والغدر والأنانية « ان الذين قالوا ربنا الله ، ثم استقاموا ، تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا ، وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون ٠ نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ، ولكم فيها ما تدعون » (٢) ٠

وكان من علامات هذه الحضارة الاسلامية أنها فهمت قضية التطور

---

(١) يوسف آية ١٠٨
(٢) فصلت آية ٣٠/٣١

والثبات فهما دقيقا سليما ، يتسم بالواقعية والصدق ، فقد أكدت التجربة أن شريعة الله صالحة لكل زمان ومكان فى أصولها وحقائقها الأزلية التى ترتبط بطبيعة الانسان وباحتياجاته الفطرية البديهية . ومن ثم أصبحت هذه الأصول والقواعد والقوانين ثابتة لا تتغير ، فلا تغير مثلا فى الايمان بالتوحيد أو فى الحدود المشروعة أو قوانين الميراث أو شعائر العبادات أو الأخلاقيات الشخصية من صدق وأمانة وتعاون وعدل ومشورة ، وغير ذلك من الأصول والقواعد والكليات التى زخرت بها الشـريعة ، وهناك بعض الأمور تركها الشـارع لتتغير وتتواءم مع طبيعة الأزمنة والأمكنة ، وهى أمور لم ترد فيها نصوص، وهذا لم يحدث سهوا ، حاشا لله ، وانما تركت قصدا ، والهدف من ذلك واضح جلى لكل ذى عقل ، والأحكام فى مثل هذه الأمور ترجـع الى ذوى البصـر والبصيرة من علمـاء المسلمين المتخصصين الذين يلتزمون فى تأويلاتهم وآرائهم وأحكامهم بالمعنى العام، وبالروح الاسلامية المهيمنة على أفكارهم وتصرفاتهم ، ومن ثم فلن يخرج منهم الا ما كان ملتزما بروح التشريع وآدابه ومقاصده ، ومن ثم فلا ضرر ولا ضرار، والضرورات تبيح المحظورات ، وهناك القياس والاجماع ٠٠ وباب الاجتهاد كان وما زال مفتوحا أمام ذوى الخبرة والتخصص لـكى يقولوا كلمة الاسلام ، ولن يقولوها الا اذا كانوا أهلا لهـا ، واتخذوا من كافة الوسائل والاستعدادات ما يجعلهم كفيلين بقولها ٠٠

ومن أبرز ملامح تلك الحضـارة الاسلامية أنهـا احترمت العلم والعلماء فى شتى فروع المعرفة الدينية والدنيوية ، ولهذا نجد تراثا ضخما فى العقيـدة والتفسير والفقه واللغـة والرياضـيات والفلك

والجغرافيا والطبيعة والكيمياء وعلوم النبات والحيوان ، والفلسفة والاجتماع والدراسات النفسية والطبية وغيرها ، وكانت هذه الحضارة واسعة الأفق بحيث ترجمت تراث الحضارات الأخرى ، وتناولتها بالدراسة والتمحيص والنقد والتنقيح ، وخرجت بها الى حيز « التجربة العملية » ، وهذا انقلاب تاريخى خطير ، كان له أعمق الأثر فى تاريخ البشرية جمعاء ، فانطلق العلماء فى كل فج وصوب يكتشفون وينقبون ، ويصححون ، ويزيدون وينقصون ، وليس هذا بغريب على دين جعل من طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة . وبذلك أصبح العلم جزءا من الدين ، بل ان العقيدة بأبوابها المختلفة ونصوصها وقوانينها كان تناولها كله بطريقة علمية فذة معجزة ..

ولم تغفل الحضارة الاسلامية جانب الفن ، فتألق فن الشعر والكتابة والقصة ، وقدم الشعراء والكتاب تراثا خالدا يتميز بالعمق والأصالة ، ويبعد عن الوثنية والانحراف العقائدى ، ويخدم المجتمع القائم فى حدود الصورة الاجتماعية التى كانت تناسب تلك العصور، ولم تعترض حركات التجديد فى الاشكال الفنية المختلفة ، وأصبح العلماء والشعراء والكتاب قادة الفكر فى أمة تحترم الفكر ، وتقدس حريته ، وقد يرى الكثيرون أن المذاهب المختلفة وتصارعها كان لها أثر بعيد المدى فى تفتيت الأمة ، وتحطيم وحدتها ، ومع ذلك فان هذه الخلافات والصراعات المذهبية كانت صورة قوية لما فى ذلك المجتمع من حرية الفكر والرأى ، وتعبيرا عما يعن للمفكرين من وجهات نظر لم يقمعها سيف ظالم ، ولم تكبتها ارادة طاغية ، هذه الحرية فى الواقع كانت سلاحا ذا حدين ، أفادت من جانب ، وأضرت من جانب

آخر ، لكنها أولا واخيرا دليل على ما كان يستمتع به أفراد المجتمع المسلم من حرية ·· ولو أن اندس فيها أعداء الاسلام ، وانحرفوا بها عن الجادة ، واستغلوا تلك الحرية أبشع استغلال ، لضرب الزحف الاسلامى الجبار ، لولا ذلك لتغير وجه العالم ، ولتولدت عن تلك الحضارة روافد غنية بكل رائع ونبيل من القيم والأفكار والمنجزات العظيمة ··

* * *

تلك كانت بعض سمات الحضارة الاسلامية ، ولعلنا لاحظنا من خلال العرض الموجز الذى قدمناه أنها صورة صادقة لما نقصده بكلمة « الاسلامية » التى هى منهج فى الفكر والسلوك ، وواضح أن التجربة قد أثبتت نجاحها وصدقها وملاءمتها لطبيعة الانسان أيا كان هذا الانسان فى أى عصر من العصور ، وفى أى صقع من الأصقاع ··

لكن المشكلة الكبرى تكمن فى أن عددا كبيرا من الدعاة الى الاسلام فى عصرنا يعتقدون أن الدعوة مجرد كلمات تقال حول الاسلام ومبادئه العظيمة ، أو أنها مجرد كتاب يكتب من ناحية من النواحى التى تبرز محاسن الاسلام واعجازه ، ان الكلمة سواء أكانت خطبة أو مقالة أو كتاب أو قصة أو قصيدة أو مسرحية ، برغم أهميتها وضرورتها ليست هى كل شىء ··

ان الدعوة بالكلمة يجب أن يواكبها الفعل ··

ولكى أوضح ذلك أقول ان علينا أن ننزل الى الشوارع والأحياء ، الى القرى والكفور والمدن ، ونبحث عن مشاكل الناس على الطبيعة ،

ونحاول أن نشاركهم فى البحث عن حل لمعاناتهم اليومية ، قد يكون هذا الحل فى ايجاد مستشفى أو مدرسة أو دار لمحو أمية الاميين . أو فى انشاء مصنع صغير يستوعب العاطلين ، أو جمع الزكاة لتوزع على العجزة والفقراء والمحتاجين ، أو حل مشكلة مساكن أو مواصلات أو مياه ٠٠ أن نواسى الناس فى أحزانهم ، ونشاركهم فى أفراحهم ، وأن نمد يد العون لهم فى كل ما يحتاجون اليه بقدر الاستطاعة ٠٠ أريد أن أقول ان الناس شبعت كلاما ويريدون فعلا ، ولقد كان المسلمون الأوائل يدركون ذلك ، فعاشوا قضايا عصرهم أو مجتمعهم وساهموا فى حل مشاكله وقضاياه ، وكذلك فعلت بعض الجماعات الاسلامية فى عصرنا الحديث فتوافد اليها الناس من كل فج وصوب ، ووجد الناس الفرصة مواتية ليعبروا عن رضاهم وارتياحهم فتوحدوا فى جبهة واحدة تعمل من أجل المجموع ٠٠ من أجل الصالح العام ٠

هذه الحقيقة الاجتماعية أصبحت معروفة وواضحة لدى الجميع ، ومن ثم فلا عجب أن نرى المبشرين فى مختلف الأديان يبنون المعبد مع المستشفى والمدرسة ويطبقون مناهجهم هنا وهناك ، وذلك هو أقرب طريق الى عقول البشر وقلوبهم ٠٠ نعم الدعوة يجب أن تكون مقرونة بالخدمات ، هكذا فعل أجدادنا المسلمون الأذكياء بوحى من كتاب الله وسنة نبيه ، ومن ثم تتغير الصورة التقليدية للداعية ، فلا يصبح مجـرد انسان يتزيى بزى معين ، ويطلق كلمات جـذابة مشحونة بالعاطفة والبلاغة وقوة التأثير فحسب ، بل يصبح الداعية مصلحا اجتماعيا ، ورائدا من رواد التغيير الى الأفضـل ، وطبيبا يعالج أمراض المجتمع ، ويأخذ بيد الناس الى العمل الايجابى ، والى

المشاركة الفعلية فى تعديل المسار ، فتنطلق الجموع الى الغد المشرق الباسم ، وتمتلىء قلوبهم بالثقة والأمل ·· ولكى يكون الداعيــة قوة بناءة مؤثرة لابد أن يكون قدوة حسنة « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ؟؟ كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون » ·

هــذه نقــطة ··

والثانية أن يتخذ الداعية وسائل العصر الحديثة مطية الى أهدافه الشريفة ، فالتعبير المباشر كالخطبة أو المقالة أو الدرس لم تعد وحدها كافية لاحداث التغيير المنشود ، ان الفنون تلعب دورا خطيرا فى التأثير على وجدان الناس وآرائهم وسلوكهم ومن ثم فان الدعاة فى عصرنا يجب أن يعــرفوا تكنيك المســرحية والرواية والتمثيلية والأفــلام السينمائية وغيرها ، تلك الوسائل التى يقبل على سماعها ومشاهدتها آلاف الملايين فى شتى أنحاء الأرض ·· ان فن العرض الحديث أمر لا مناص لنــا من دراسته وفهمه من أجل الوصــول الى الجماهير العريضة واقناعها من خلال ذلك الحشد الهائل من الفلسفات والأفكار المنحرفة التى يعج بها عالمنــا المعاصر ·· وليس ذلك ببدعة ، وانما كان المسلمون الأوائل يحتفون بالاعلام الاسلامى فى حدود امكانيات عصرهم ·· ولذا فانه بات من الضرورى الزحف على وسائل الاعلام المختلفة وأن يكون سلاحنا فى هذا الزحف الفهم الواعى لهذه الفنون وأثرها وأهميتها ، وأن نجـد الكفاءات والمواهب الحقيقية لجيش الاعلام الاسلامى ، فقد أصبحت الأسلحة الاعلامية أقوى وأفعل من السيف والمدفع والدبابة والطائرة ، لأننا نريد غزو العقول والقلوب والنفوس قبل أن نفكر فى غزو الأرض ··

ولن تكون الاسلامية واقعا حيا الا اذا اجتمع الفكر والسلوك ، أو النظرية والتطبيق ، ولن تصل هذه الاسلامية الى عقول الناس وقلوبهم الا بالقــدوة والمشاركة البناءة فى حل مشاكل النــاس ، واتخاذ أحدث أساليب العلم والتكنولوجيا فى معركة الاسلام ضــد أعدائه ٠٠ ضد قوى الشر والفساد والانحراف والأنانية والتسلط ٠٠

والآن ننتقل الى سؤال آخر ألا وهــــو :

من هم أعــــداء الاســـــلامية ؟ ؟ ٠٠

أعداء الاسلامية

اذا كانت الاسلامية على هذا النحو الفريد من حيث النظرية والتطبيق ، فلماذا توجه اليها سهام العداء المسمومة ؟ ؟ وما السبب الكامن وراء الحملات العتيفة التى تعد وتدفع لهدم صرحها ، ودك بنيانها ؟ ؟ واذا كانت البشرية فى مرحلة الطفولة القديمة تتصرف بسذاجة وحماقة ، فما هو العذر الذى يقدمه عصرنا ـ عصر التقدم والعلم والتكنولوجيا ـ لما يكنه من خصومة قاسية مريرة للاسلامية ؟ ؟ واذا كان هذا العداء لا يحقق مصلحة حقيقية للبشرية ، ولا يخدم قضاياها المصيرية فكيف نفسر تلك الهجمات المتتالية التى لا ترحم ؟ ؟

أسئلة عديدة تدور فى ذهن أى باحث ، وتؤرق العاملين فى الحقل الاسلامى ، والواقع أن الناس أعداء ما جهلوا ، فهناك فئة من الناس ليس لديها الوقت أو الرغبة لتحرى الحقيقة ، انها ألفت مذهبا بعينه، أو فلسفة فى الحياة استساغتها ، وليست على استعداد لتحرى الحقائق ، وتمحيص ما يعرض عليها من أفكار ومبادىء ، وهذا الصنف من الناس ينظر الى الموضوع نظرة سطحية ، فيرى حال المسلمين وما آلوا اليه من تمزق وتخلف ، وما هم فيه من تناقض ووهن وكسل ، فيتبادر الى ذهنه أن الاسلامية بذلك قد جانبها التوفيق فى خلق جيل قوى يفهم الحياة العصرية فهما سليما ، وأنها لو كانت كما يصورها أصحابها لقضت على أمراض مجتمعاتها ، ولخلقت أمة

قادرة على تخطى الصعاب ولأمكنها أن تسير فى مقدمة الأمم الراقية. ولبرزت مثيلاتها فى كل أنواع النشاطات الانسانية من علمية وثقافية واقتصادية وسياسية واجتماعية ، ولا شك أن الصورة القائمة التى تقدمها المجتمعات الاسلامية صورة قاتمة لا تشجع الغالبية العظمى من رجال الفكر والسياسة ، هذه حقيقة لا يمكن انكارها .

لكن هل استطاعت شعوبنا الاسلامية أن تتمثل المعانى الاسلامية وتفهمها حق الفهم ، وتطبقها فى واقعها المعاصر ؟ ؟ ان المسلمين أنفسهم قد تراخوا عن فهم الرسالة وأدائها على الوجه الأكمل ، ولم يتحمسوا لمضامينها الفكرية التحمس الكافى ، بل اتخذوا من الفلسفات الوضعية ـ فلسفات الأعداء ـ منطلقا لتصوراتهم وحياتهم الجديدة ، ومن ثم فان الاسلامية فى عصرنا لم توضع بعد موضع التجربة والاختبار حتى يمكن الحكم على أصالتها فى مجال التطبيق . فضلا عن أن الفلسفات المعادية استطاعت بخبثها ودهائها وامكانياتها الهائلة أن تثير الشكوك حول الاسلامية ومضامينها ، ووجدت تلك الفلسفات الفرصة سانحة لاثارة الشبهات بسبب بعد المسلمين عن تراثهم ، وعدم اهتمامهم به ، وعزوفهم عن فهمه وادراك أسراره وعظمة ما فيه من مبادىء وتفسيرات ..

نعم .. ان امكانيات الأعداء قوية ومبهرة ، لأنهم قطعوا شوطا كبيرا فى مجال التقدم والسيطرة والنفوذ ، فسخروا ما لديهم من قوة وعلم ونفوذ لسحق أفكار الآخرين وهدمها ، وذلك من خلال الغزو

الفكرى الذى جندوا له أفتك الأسلحة وأخطرها .

واذا كان لدينا المسلم دينا وميلادا وأرضا ، فان ذلك المسلم يفكر كما يفكر الأعداء ، ويلبس مثلما يلبسون ، ويأكل كما يأكلون، ويسلك فى الحياة اليومية سلوكا يكاد يكون صورة طبق الأصل من سلوك الأعداء ، ولهذا السبب تميعت شخصية المسلم واندثرت أو كادت ، فهو من الناحية الجغرافية والتاريخية مسلم ، وهو فى فكره وسلوكه غير مسلم ، ان ذلك التمزق الفكرى والوجدانى قد جعل منا مسخا مشوها لا يعبر بحال من الأحوال عن الشخصية الاسلامية المتميزة ، ومن هنا كان انتاجنا فى الفكر والفن والفلسفة انتاجا مستعارا من غيرنا ، لا يمت بصلة تذكر الى تراثنا وعقيدتنا ، بل أن هذه الشخصية المتميعة الهلامية أصبحت هى خط الهجوم الأول على الاسلام والمسلمين، وأصبحت تكيل الاتهامات جزافا لكل ما هو اسلامى ، باسم العصرية تارة ، وباسم التقدمية وحماية التطور تارة أخرى ، وباسم البعد عن التعصب والرجعية والجمود حينا آخر ، واذا كانت الفنون لها أعمق الأثر فى تشكيل الفكر والوجدان ، فقد قلد مفكرونا الأعداء فيما يكتبون ، لذا نجد القصص والأفلام والمسرحيات والأشعار أغلبها يستعير الموضوعات والأساليب الغريبة ، ويبرز الشخصيات الشاذة فى تصرفاتها وأفكارها ، والتى تنبع تصوراتها وسلوكها من منبع آخر دخيل غير منابعنا الأصيلة ، ولهذا قل ما يمكن أن نسميه بالفن الاسلامى أو الأدب الاسلامى أو الفكر الاسلامى ، وكان حريا بكتابنا وعلمائنا أن يستلهموا تراثهم ومبادئهم وضمائرهم ، فلا يسقطوا فى براثن التقليد ، ولا يبعدوا عن المكونات الأساسية لشخصيتهم ،

ولا يذوبوا فى أتون الغزو الفكرى الذى ابتلاهم الأعداء به ...

من هنـا نرى أننـا ـ بهـذا السلوك ـ قـد أصبحنا ألد أعـداء أنفسنا .. نعم نحن السبب الأول والأساس فى هدممفهوم الاسلامية فى عقولنا وقلوبنا ومجتمعاتنا ..

ان المرأة المسـلمة قد تؤدى الصـلاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت وتقر بالتوحيد ، لكنها قد تسير حاسرة الرأس ، عارية الصدر والذراعين ، ثوبها فوق ركبتيها ، وتقلد الأجنبيات فى سلوكها مع الجنس الآخر .

ونرى الرجل المسلم يعرف عن تاريخ أوربا والعالم ، وعن تاريخ الاقتصاد العالمى أكثر بكثير مما يعرفه عن تاريخ الحضارة الاسلامية الرائدة وفكرها واقتصادها ، حتى الكلياتوالجامعاتتركز أيما تركيز على أصـول الفكر الغربى ومدارسـه ولا تـكاد تهتم بأصول الفـكر الاسلامى واقتصادياته وقوانينه .. وماذا يريد أعداؤنا غير ذلك ؟ ؟ لقد تحقق لهـم ما يريدون على أيدينا نحن ، واستطاعوا أن يدمروا حصوننا من الداخل وبأيدينا ، ومن ثم فلا مناص من أن نضع أسسا جديدة للتربية والتعليم فى بلادنا الاسلامية ، أسسا تنهض عليها تنشـئة الأجيال وتعليمها وتوجيهها ، هـذه الأسس لابد أن تكون مستمدة من منابع الفكر الاسلامى ومدرسته القرآنيةوآدابه المحمدية، هذه واحـدة .

والثـانية أن وسائل الاعـلام برغم ما فيها من برامج دينية ، وتلاوات قرآنية ، قـد أصابها الاضطراب والخـلل ، وعشش فيها

التناقض والتخبط ، فهى الى جانب فقراتها الدينية المباشرة تخلط السم بالعسل ، فنرى تمثيلياتها ومسلسلاتها وندواتها تمضى مقلدة للغرب فى نظرته للحياة والكون والانسان ، وتؤثر فى الوجدان والفكر أعمق تأثير وأخطره ، هذه الوسائل الاعلامية تفسح الطريق امام الفكر المنحل ، والتصور المنحرف للعلاقات الانسانية ، سواء فى الصلات الفردية أو الاجتماعية ، فالزوجة تحب وتعشق وتخرج وتمارس لعبة الشيطان مع رجل غير زوجها ، فى اطار من التبرير الزائف ، تبرير المفاسد والانحرافات والرذيلة ، والمجرم يبدو فى اطار المظلوم المغلوب على أمره ، والانتهازيون يسمون انحرافهم مهارة ولباقة وذكاء ٠٠ والمتحللون والمصابون بالشذوذ والهوس ينسبون ذلك الى فلسفة جديدة . قوامها الحرية واشباع الرغبات ، مخافة السقوط فى براثن العلل النفسية ، ومركبات النقص ، فماذا تجدى الأحاديث الدينية ، والتلاوات القرآنية ، أمام هذا الركام الهائل من المفاسد والانحرافات والفوضى الفكرية والسلوكية ؟ ؟

ان المسكين بزمام الرأى والتوجيه والتربية نماذج بشرية عليلة لا تستطيع أن تقوم على تربية جيل ، وتسهر على توجيه أمة من الأمم ، ولا يمكنها ــ بحكم نشأتها وتربيتها وثقافتها ــ أن تقدم الاسلامية فى اطار سليم صحيح ، ولا تستطيع أن تتصدى لسهام الاعداء ، لانهم فى الواقع ــ سواء شعروا بذلك أم لم يشعروا ــ فرقة من ذلك الجيش الهائل ، جيش الغزو الفكرى ٠٠

لذلك فاننى أقول مرة أخرى اننا نشكل قوة ضاربة تعادى الاسلامية وتساهم فى القضاء عليها ، وهيهات نستطيع أن نفعل شيئا قبل أن

تزاح هذه العوائق من الطريق ، وتوضع أمانة التوجيه والتأثير فى الرأى العــام ، فى أيد أمينة تقدر المسئولية ، وتعرف الطريق السوى الى الهدف الأسمى ٠٠ الى الاســلامية باعتبارها منهجا فى الفكر والسلوك ٠٠

وليس معنى ذلك أن نقف مستعدين منتظرين حتى يأتى الينا من بيدهم الأمر ليأخذونا الى حيث مراكز الدعوة والتوجيــه ٠٠ لا ٠٠ هذا غير معقول ، بل علينا أن نتحرك ونأخذ للأمر عدته من علم وثقافة وتجربة وعزم ، ثم نزاحم هؤلاء المنحرفين بالمناكب ، ونأخذ أماكننا بالكفاءة والجدارة وتقديم النماذج البديلة ٠٠ تقديم البدائل هو الحل. فالناس لا يمكن أن يعيشــوا فى فراغ ، واذا أردنا أن نزيح صناعة زائفة ، أو فكرا منحرفا ، فلابد أن نغرس مكانه النبتة الصالحة فى التربة الصــالحة ، ونواليهــا بالرى والغــذاء ، حــتى تورق وتثمر وتترعرع ٠٠

وعلينا أن نعرف جيدا كيف يفكر عدونا ، وكيف يخطط ويرسم ، وكيف يمضى فى معــركته ، وما هى الطريقة التى يوهن بهــا قوانا وعزائمنا ومعتقداتنا ، عندئذ نستطيع أن نعد الأسلحة المضادة التى تفل سلاحه ، وتفشل مخططه ٠٠

وهذا يجرنا الى الحديث عن الداعية الاسلامى الجديد فى عصرنا الحديث ٠

هــذا الداعية يجب أن يكون مؤهلا التأهيل الــكافى المناسب ، مستخدما أدوات العصر ووسائله فى مجال الاقناع والتأثير حسبما

أسلفنا فى الفصل الأول ، وعليه أن يتخذ عدته من كل ما يحفل به عصرنا من معارف وثقافات ، انه فى حاجة بديهية الى الالمـام بتراثه الاسلامى الـماما معقولا شافيا ، ولابد له من دراســة علم الاجتماع والدراسات النفسية فى حدود الامكان ، ولابد له من معرفة أصول علم الاقتصاد ، وقدرا من فلسفة الفنون والاعلاموغير ذلكمن ألوان المعرفة التى أصبحت ثقافة عامة فى عصرنا ولا غنى لأى مثقف عنها ..

هذا الاعداد أمر لا مفر منه ، والا فكيف أضع عالمـا من علماء الدين التقليديين فى مواجهة طائفة من المثقفين العصريين أو الجامعيين ، ثم لا يستطيع الاجابة أو عقـد المقارنات بين الاسـلام وغـيره من الفلسفات المعاصرة ، ان احتياجات الحاضر ، ومشاكل المجتمع والواقع الحى الذى نعيشه ، والتساؤلاتالملحة فى مجالات السياسة والتربية والفكر والفن والاقتصاد ، كلها تفرض نفسها فرضا على ندواتنـــا ومجالسنا وصحفنا ، ولابد من تحليل كل ذلك ، ورده الى أصــوله ، كى نصل الى الطريق الصحيح .. طريق الاسلامية ..

ولابد من الاهتمام بالطفل اهتماما خاصا قبل سن المدرسة ، وفى أثناء سنوات الدراسة ، ان بلادنا الاسلامية لم تعط الطفل حقهالكامل حتى الآن ، فهو متروك لمشيئة الابوين ، وتوجيهالبيت ، مع أننا نرى فى أوربا مثلا ، سينما للأطفال ومسرحا للأطفال وعديدا من صــحف ومجلات الأطفال ، وكتبا خاصــة بهم ، ونوادى يمرحون ويتعلمون ويتربون فيها ، انهم هناك يغرسون فى أطفالهم ما يريدون لهم من توجيه وتوعية ، فينشأ الطفل على المعــانى والقيم التى يريدونها ،

أما أطفالنا فيعيشون فى ضياع ، واذا ذهب الى المدرسة وجد نفسه تائها فى حجرة دراسية قد تضم ستين طفلا ، ولا يجد من المناهج الاسلامية الناجحة الشيقة ما يشده الى ينابيع دينه ، ومن ثم نجد أطفالنا يتحلقون حول شاشة التليفزيون ، أو يجلسون مستمعين للمسلسلات الاذاعية مثل الكبار تماما ، وهنا يتعلمون عبارات الغزل، والنكات البذيئة ، وحيل العصابات والقتلة والغشاشين ، فينشأون فى جو فكرى مسمم ، ويخرجون الى الحيـاة الكبيرة حيث الشارع بتقاليده المنحرفة ، وحيث السلوك بضلاله وشذوذه ، وحيث الصراع والزحام المجنون الذى لا يرحم ٠٠ فكيف يصبح هذا الطفل فى المستقبل رجلا يتمثل الاسـلامية فكرا وسلوكا بعد أن افتقـدها فى البيت والمدرسة والشارع وفى وسائل الاعلام المختلفة ؟ ؟

أمر آخر لابد من التعرف عليه ، وهو أن هناك نوعا آخر من العداء نستطيع أن نسميه « عداء المصلحة » ، وهذا العداء يحمله أولئك الذين تتعارض مصالحهم مع سيادة الاسلامية وسيطرتها على مناحى حياتنا فالذين يستغلون العباد ، ويسخرونهم بأبخس الأثمان ، ويسرقون جهودهم وعرقهم ، ويوجهونهم الوجهة التى تتفق وأهدافهم ، هؤلاء الطغاة يخافون على سلطانهم أن يزول ، وعلى مكاسبهم أن تنمحى أو تتناقص ، ومن ثم فهم أعداء لأى تغيير أو تطور يمس مصالحهم ، ويتعارض مع مخططاتهم ٠

وفئة أخرى وثيقة الصلة بالفئة الأولى قد ألفت حياة الاباحية والبذخ والسقوط ، ويقضون أيامهم فى العبث ومعاقرة الخمر ، وارتكاب

الفواحش او الموبقات ، هؤلاء جميعا ـ وان كان غالبيتهم من المسلمين اسما ـ يخافون العقوبة ، ويقفون مذعورين أمام مبادىء العفاف والشرف ، فقد ألفوا العيش فى مستنقعات الرذيلة ، تلك التى يجنون من ورائها المتعة الزائفة والمكاسب المادية أو الدنيوية التافهة ، ولذا نراهم يسيرون بين الخلق بدعوى الجاهلية والاباحية والفوضى ، ويزعمـون أن تلك هى الحـرية التى هى من حق الجميع ٠٠ حرية العقوق والفسوق ، ونسوا أن مثل تلك الحرية المزعومة هدم لأنفسهم ولمجتمعاتهم ولأوطانهم ٠

وليت الأمر يقف عند هذا الحد ، لأنهم لا يكتفون بالممارسة المشينة لهذه التصرفات ، وانما يروجون لها ، ويفلسفونها ويعتبرونها ضربا من التقدم أو التحضر أو المدنية ، ويفرزون فى ظلها الأفكار والفنون والآداب المسمومة ، فتبدو هذه الانحرافات الخطيرة وكأنها هى الواقع الذى يجب أن يكون ، وهى الفلسفة السليمة التى يجب أن يسيروا على نهجها ، هؤلاء جميعا تتلمذوا على أيدى أساتذة الدمار والانهيار من مفكرى الاستعمار والالحاد والصهيونية ، ونسوا أو تناسوا أن فى ذلك فساد الدنيا والآخرة ، وأن الخانعين المستهترين لا يمكن أن يبنوا أمة ، أو يحققوا نصرا ، أو ينالوا استقلالا ، أو يقودوا أجيالهم الى حياة الرفاهية والشرف والرفعة ، وهـل فى الامكان أن تنهض حضارة أصيلة حقيقية على أساس هذه الألوان من العفن والانحراف والتحلل ؟ ؟

واذا كان هؤلاء المارقون يظنون أن الدول التى سبقتنا فى مجال التقدم والعلم والتكنولوجيا ، تتخذ هذا الأسلوب منهجا فى حياتها ،

ودستورا لسلوكها ، فان ذلك لا يمكن أن يعتبر حجة مقبولة ، لأن الحضارة الغربية تخفى مساوئها وعللها وراء ستار كثيف من التقدم الصناعى ، وقد اعترف مفكروها وفلاسفتها بما يعانيه الفرد منتمزق وحيرة وقلق ، فكثرت بينهم الأمراض النفسية ، والانحرافات الخلقية ، وتمزقت أسمى الأواصر ، وما علينا الا أن نقرأ آدابهم ونطلع على فنونهم ، لنرى النماذج البشرية المحطمة ، والبدع الأخلاقية الغريبة ، وذلك كله – باعترافهم – ايذان بانهيار قريب لتلك الحضارة، ولا شك أن الحروب المدمرة ، والفلسفات الشائهة ، وموجة الخنافس والمخدرات وقضايا القتل الجماعى والشذوذ الجنسى والفضائح المتنوعة ، واستغلال الدول الفقيرة والضعيفة ، واختراع الأسلحة الفتاكة ، وظلم الأقوياء للضعفاء ، لا شك أن هذه الأوبئة كلها هى بداية النهاية لأمم تخفى مساوئها وعللها وراء التقدم الصناعى أو التكنولوجى الظاهرى ..

ان حضارة الغرب هى حضارة الظاهر .. لأن العلوم الظاهرية من كيمياء وكهرباء وفسيولوجيا وغيرها ، استطاعت أن تدرس الانسان من خلال أنشطته الظاهرة للعين فى المعامل أو تحت الميكروسكوبات ، أو بمختلف وسائل العلم الحديثة ، لكن حضارة الظاهر تلك لم تستطع أن تتعمق باطن الانسان أو داخله ، لم يتيسر لها أن تفهم وجدانه وروحه وأشواقه وفطرته السليمة ، لأن هذا المجال الميتافيزيقى (أو ما وراء الطبيعة) هذا المجال الغامض المجهول لا يمكننا أن نستمد معرفتنا عنه الا من خالقه .. من الله سبحانه وتعالى ، فهو الذى خلق الخلق ، وهو الذى أودع فيهم من الأسرار

والحقــائق مالا يعرفه أحــد ، ومن ثم فان طبائع الأمور تقتضى أن الخالق وحده هو القادر على صوغ القوانين والخطوط العريضة لمسيرة الانسان فى هذه الحياة٠٠ من هنا كانت رسالاتالسماء التى تضمنت شريعة الله جل وعلا ٠

لهذا فان الحضارة الحديثة التى أغفلت هــذه الحقيقة قد حادت عن الطريق ، وانصرفت عن المنهج السليم ، وأصابها الغرور بسبب الفتوحات التكنولوجية والعلمية فى مجالات علوم الظاهر ، وظنتأنها قادرة على اقتحام علوم الباطن ، وقدمت التافه القليل فيما يسمىبعلم النفس ، والعجيب أن تلك الحضارة قد اعترفت بعجزها وقصورها فى وضع تصور صحيح للانسان فى باطنه ، واذا كان علماء الحضارة قد اتفقوا على القوانين العلمية التىاستخلصوها من التجارب والمشاهدة فيما يتعلق بعلوم الظاهر ، اذا كان العلمــاء قد فعلوا ذلك فانهم قد فشلوا فشلا ذريعا فى الكشف عن النواحى الميتافيزيقية ، ولم يصلوا فيها الا الى بعض الحقائق التى وصل اليها الدين ، ثم اشتطوا فأتوا باستنتاجات خاطئة فى هذا المجال أيضا ، وكان الخطأ الأكبر حينما حاولوا تطبيق تصوراتهم المتهافتة المضطربة فى واقع الحيــاة ٠٠ وهذا كله يعود بنا الى اقرار الحقيقة الواقعة ألا وهى أن الخالق هو الخبير بخلقه ، وأن التصور الدينى لهذا الجانب فى حياة الانسان أقوى التصورات وأصحها ٠٠

اذن فالكائن الحى الذى ربته الحضارة الغربية كائن شائهناقص، واقع بين براثن القلق والتمزق والخوف والملل والشطط والانحراف على الرغم من أنه ينعم بالمنجزات المــادية والصناعية التى تحققت

له ، لكنه شقى روحا وقلبا ووجدانا ٠٠ هذا هو ردنا على أولئك الذين يستشهدون بالتقدم الصناعى على تفوق الحضارة الغربية وسيادتها فى كل مناحى الحيـاة ٠٠

نعود مرة أخرى الى ظاهرة العداء للاسلامية ، فنقول ان هناك نوعا آخر من العداء يرتبط بطبيعة النفس البشرية ، ألا وهو تشبث كل ذى عقيدة بعقيدته ، وهذا واضح طوال حقب التاريخ ، فاليهودية ترفض النصـرانية استمساكا بتراثها القـديم ، والنصرانية تكره الاسلامية واليهودية معا فى واقع الأمر ، وكل ذى عقيدة أو دين يدفعه تعصبه وكبرياؤه أحيانا الى محاربة ما يضاد فكره أو يختلف معه ، وهذا نوع من العداء مورث وشائع ، بل أننا نجد مثل هذا العداء بين أصحاب المذاهب المختلفة فى الدين الواحد ، ومنطق العلم يرفض هذا اللون من العداء لأنه يتنافى مع الموضوعية ، ومنطق الدين هو الآخر يرفض ذلك العداء أو التعصب الأعمى ، وكثيرا ما تحمل آيات القرآن الـكريم على أولئـك المـكابرين الذين يحتجون بتبعيتهم لآبائهـم وأجدادهم ، ويشيحون بوجوههم عن كل نور جـديد يقتحم ظلمات حياتهم : « انا وجدنا آباءنا على أمة ، وانا على آثارهم مقتدون » (١) ٠

ان اغلاق العقل عن أى فكر جـديد ، ورفضه ابتداء دون فحص أو تمحيص يعتبر ضربا من الجمود والتعصب ، وحينما أعلن الجهاد المقدس فى الاسلام ، لم يكن ذلك الجهاد من أجل غزو أرض ، أو استغلال شـعوب ، أو نهب ثروات ، وانمـا كان لفتـح الطريق أمـام

---

(١) الزخرف آية ٢٣

شعوب الأرض كى ترى النور وتختار ٠٠ « لا اكراه فى الدين » (١)٠ كان الجهاد من أجل هدم أسوار السجون والاكراه والكبت والقهر التى ترزح تحتها شعوب الأرض ، ولهذا لم نسمع فى التاريخ عن انسان عذبه المسلمون كى يعتنق دينهم ٠٠

هذا النوع من العداء للاسلامية يجب أن نقابله بالمنطق ، بالجدل العلمى الموضوعى ٠٠

ولنتناول الآن بعض أعداء الاسلامية بشىء من التوضيح ٠٠

---

(١) البقرة آية ٢٥٦.

الصليبية والاستعمار ...

بادىء ذى بدء يجب أن نقرر أن الاسلام له نظرته الخاصة الى الأديان والأنبياء فى مراحل التاريخ السابقة للدعوة الاسلامية ، وهى نظرة عميقة خالية من أى زيف أو تعصب ، فالأديان السماوية كلها من عند الله . والرسل والأنبياء مكلفون بتبليغ رسالة الاسلام الى البشر « ان الدين عند الله الاسلام » (١) وعدد من آيات القرآن تؤكد هذه الحقيقة ، ولا يكتمل ايمان المسلم الا اذا آمن بالرسل والأنبياء والكتب التى أنزلت قبل الاسلام « آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا ، غفرانك ربنا واليك المصير » (٢) .

هذا هو المسلم الذى لم يقع بينه وبين الأديان السابقة خلاف الا حول النقاط التالية .

- **أولا** : التحريفات والزيادات أو النقص الذى أدخله بعض ذوى الهوى والأطماع على الأديان السابقة .
- **ثانيا** : موقف أصحاب الأديان السابقة من محمد صلى الله عليه وسلم ومن رسالته التى جاءت مصححة لما أصاب الديانات السابقة من تحريف وزيغ وشك .
- **ثالثا** : موقف أصحاب الديانات السابقة من الاسلام الذى أتى بأشياء جديدة تتفق وفطرة الانسان وطبيعة

(١) آل عمران آية ١٩
(٢) البقرة آية ٢٨٥

الخلائق والأكوان ومن الشـرائع المكملة المفصلة المهيمنة على الشـرائع التى قبلهـا ، وخاصة فيما يتعلق بعموم الرسالة المحمدية وشمولها والحقائق الأزلية التى تتفق مع كل زمان ومكان ٠

● **رابعا** : قضية التوحيـد التى هى لب الأديان كلها ، فقـد عمدت الأجيال التـالية لـكل دين الى بث الأوهام والأخطاء والخلط فى مفهوم التوحيد والألوهية ٠

فالذنب اذن ليس ذنب المسلمين فيما استحر من عداء وخلاف بين الرسالة المحمدية الصافية الصحيحة وبين غيرها من الرسالات التى اكتظت بالانحراف والتخبط والبعد بالتوحيد عن أهدافه السامية ، وصورته السليمة ٠٠ ومن هنا دب الصراع ، ونشبت الحروب بين الاسلامية وأعدائها ، واستطال أمر هذه الحروب ، وتفشى عبرالقرون الطويلة ، علما بأن الاسلام يدعو أتباعه الى أسلوب من الدعوة فيه الرفق والهوادة واللين ، أسلوب يعتمد على الاقناع والمنطق « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن ، ان ربك هو أعـلم بمن ضل عن سبيله ، وهو أعـلم بالمهتدين ، وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ، واصبر وما صـبرك الا بالله ، ولا تحـزن عليهم ولا تك فى ضـيق ممـا يمكرون ، ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » (١) ٠

---

(١) النحل آيات ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨

ذلك هو أسلوب الدعوة الاسلامية طوال حقب التاريخ ، ولم يتزعزع هذا الاسلوب أو يضطرب حتى فى الأوقات التى كانت للاسلام فيها سطوة أى سطوة ، حينما انتصروا وسادوا وحكموا حيزا ضخما من العالم المعمور ، وكان بامكانهم أن يسوقوا الناس سوقا الى حظيرة الاسلام ترهيبا أو ترغيبا ، لم يفعلوا ما فعله الأوربيون حينما انعقدت محاكم التفتيش فى أسبانيا وغيرها ، فأذاقت المسلمين الويل والثبور، وعظائم الأمور ، فسفكوا الدماء ، وقادوهم قسرا لاعتناق المسيحية ، ولم يفعل المسلمون ما فعله رجال الكنيسة عندما اضطهدوا مخالفيهم فى الرأى من المسيحيين أنفسهم ، وحكموا عليهم بالحرق أو قادوهم الى المقصلة ، وتاريخ التعصب الكنسى يعرفه كل من له دراية ولو قليلة بالتاريخ ..

وفى عصور الحروب الصليبية حدث شىء جديد .. ان أوربا تطلعت بعين الطمع والشراهة الى بلاد المسلمين ، حيث الثروات الضخمة والموقع الاستراتيجى الممتاز ، وقد تلونت هذه الأطماع ببريق الأمجاد العسكرية والقومية ، والأخذ بالثأر من الانتصارات الباهرة التى حققتها جيوش المسلمين فى عصر الدعوة الاسلامية الأول ، وقد وجد الملوك والنبلاء والقواد الفرصة سانحة لديهم كى يعقدوا أحلافا غير مقدسة مع رجال الكنيسة ، ومن هنا اشتعلت مشاعر الجماهير المسيحية تعصبا وطمعا ، وانطلقت الجيوش الأوربية تحت شعار الجهاد المقدس ، وظلت هذه الحروب مشتعلة الأوار لأكثر من قرنين من الزمان ، لقد امتزجت أطماع الاستعمار بوهم الجهاد المقدس لدى الأوربيين أملا فى استلاب ثروات المسلمين ، والقضاء على تراثهم

الدينى وعقيدتهم السمحاء ، ورغبة فى فتح آفاق جديدة للتجارة ، وكان ذلك بداية الاستعمار فى العصر الحديث ، وقد عانى المسلمون الكثير من جراء هذه الحروب الطويلة التى استنفدت طاقاتهم ، واستنزفت ثرواتهم ، وصرفتهم عن البناء والامتداد السلمى لفترة ٠٠ وليس صحيحا ما يقال عن أن هذه الحروب الصليبية قد قامت من أجل تأمين طريق الحج للمسيحيين الى بيت المقدس ، لأن العصابات التى كانت تتعرض للمسافرين أحيانا كانت مجرد انحرافات فردية ، قوامها بعض اللصوص وشذاذ الآفاق ، وكان هناك شبيه لهذه العصابات وقطاع الطرق فى طريق الحج الى مكة أيضا ، وكانت الحكومات فى البلاد الاسلامية تحارب هؤلاء وهؤلاء وتقاومهم وتخضد شوكتهم ، وكان فى الامكان التفاهم بشأنهم بين الدول المعنية ، وابرام الاتفاقات بشأنهم ٠٠

مرة ثانية أؤكد ما أكده كثير من المؤرخين من أن التحالف الصليبى الاستعمارى لم يكن يقصد وجه الله ، وانما كان الهدف منه مقاصد دنيوية ، يكمن وراءها الكسب المادى ، وخنق الحركة الاسلامية الصامدة الغالبة التى تقف حجر عثرة فى طريق الأطماع الأوربية والهوس الدينى الأوربى ، وهذا لا ينفى بالطبع أن هناك فئة من المحاربين كانوا يتحركون بدافع القضاء على الاسلام للتمكين للمسيحية هؤلاء المخدوعون ، كانوا يعتقدون أنهم يحاربون فى سبيل الله ، ويريدون نشر المسيحية وسيطرتها ، وليس أدل على خداعهم من أن المسيحية نفسها لا تدعو لهذا اللون من الصراع الدموى الرهيب ، وهذا الظلم الفادح أو التنكيل بالأبرياء ، فرسالة المسيح محبة وسلام

وتفاهم وصفح وغفران ، وهذا شيء لا يختلف عليه اثنان ، ولو أن المسلمين قد أعلنوا التعبئة العامة ، وأرادوا غزو العالم المسيحى فى ذلك الوقت لكان للحروب الصليبية عذر فى أن تشتعل ، أما وأن المسلمين فى تلك الحقبة الزمنية كانوا فى موقف الدفاع عن النفس فان ذلك كله يؤكد ما توصلنا اليه من أن هذه الحروب التى أشعلها الغربيون كانت تحركها الأطماع الاستعمارية ، فاستغلوا التعصب أو الهوس الدينى فى تحقيق أغراضهم أو أهدافهم الخبيثة .

ومن هنا نستطيع أن نفهم كيف وضع الصليبيون والاستعماريون أيديهم فى أيدى اليهود ـ أعدائهم التقليديين الذين يلعنونهم فى كل صلاة ـ ويمدونهم بالمال والسلاح لتدمير العرب والمسلمين ، ويقتطعون جزءا غاليا من أرضنا ويقدمونها قربانا للصهيونية الجامحة ، كى تنفذ لهم مخططاتهم الخبيثة لضرب الاسلام فى عقر داره ، ألم يقل « روستو » مستشار الرئيس الأمريكى الأسبق « جونسون » فى محاضرة له باحدى الجامعات الأمريكية ، ألم يقل بأن : « اسرائيل هى الامتداد الطبيعى للحضارة المسيحية فى الشرق ، وأن وجودها ضرورى لوقف الزحف الاسلامى الذى هدد أوربا قرونا عديدة » فوجود اسرائيل (اليهودية) امتداد للحضارة (المسيحية) .. وهى فى نفس الوقت ضمان لعدم تكرار الحروب الصليبية .. هكذا يقولون .. وهو قول لا يختلف كثيرا عما قاله القائد الانجليزى الذى وقف على قبر صلاح الدين بعد الاحتلال وأعلن فى فخر قائلا :

« الآن انتهت الحروب الصليبية .. » .

انه ينظر الى الحرب والاستعمار فى القرن العشرين على أنهما

امتداد للحروب الصليبية ·· لكنه يزعم أن الحروب الصليبية قد انتهت ·· لا ·· ان الحرب الصليبية ما زالت قائمة وممتدة ، مادامت هناك مصالح وأطماع لهم فى الشرق ، وما دام هناك طائفة ممن يتصفون بالهوس الدينى والتعصب الأعمى ، وما دام هناك اجماع من أعداء الاسلامية على ملاحقتها وضربها فى عقر دارها ، ومحاصرتها حتى لا تنطلق أو تسود فتهدد مطامعهم ومخططاتهم ·· وقد اتخذت الحروب الصليبية فى عصرنا أسلحة شتى الى جانب التهديد العسكرى ، والعدوان الصهيونى الذى يعتبر مخلبا للأحقاد الاستعمارية والصليبية ، فهناك الغزو الفكرى الذى اتخذ له من أدمغتنا وأفكارنا وعاداتنا وتقاليدنا وسلوكنا ميدانا له ·· فأصبح المسلم نفسه ، بعد أن شكلته التربية الغربية ، وأثرت فى سلوكه ومنهجه وفكره ، أصبح هذا المسلم هو الجندى الجديد الذى يحارب أمته بأفتك سلاح وأخطره ، ويا ليت قومى يعلمون ··

وهناك نقطة أخرى فى غاية الخطورة ··

ألا نلاحظ أن الدعوة الى المسيحية فى أوربا قد تقاعست وانكمشت وفى نفس الوقت نرى الحركات التبشيرية ، خارج أوربا ، قد انتعشت . ورصدت لها الحكومات الامكانيات الضخمة فى آسيا وافريقيا بالذات ؟؟ ان المبشرين هم طليعة القوات الغازية المستعمرة ، والمبشرون هم الطابور الخامس الذى لعب أخطر الأدوار فى الصراعات الدامية على أرض هاتين القارتين ، فقد ثبت بالدليل القاطع أنهم اشتركوا فى التخطيط لكثير من المؤامرات والانقلابات والحروب الأهلية ، وساهموا فى اعداد جيوش المرتزقة ، وقبض على الكثيرين

منهم وأدينوا وحكم عليهم بالاعدام أو السجن أو الطرد ، حدث ذلك في السـودان وأوغنـدا وغيرهما ، ولقـد كانت مدارس المبشرين ومستشفياتهم وأماكن العبادة الخاصة بهم هي معامل التفريخ لتخريج المنحرفين والخونة والمتعصبين ، وبعض هؤلاء وصل الى مراكز القمة في كثير من البلدان ، وتركوا بصماتهم على أجهزة الحكم ، وأثروا أيما تأثير في مجريات الأمور بتلك البـلاد ٠ وقد أزيح الستار عن كثير من المخططات الرهيبة التي وضـعتها المؤتمرات التبشـيرية ، ونشرت بعض الوثائق الهامة بهذا الصدد ، وأصبح واضحا أن ضرب الحركات الاسـلامية ، التي حاولت النهوض بالاسـلام في العصر الحديث ، في كثير من البلدان الاسلامية ، كان ضرب هذه الحركات بتحريض أو بوحي من سـدنة الحلف الشـيطاني بين الصـليبية والاستعمار ، بعـد أن تنبهت هذه الحركات لمـا يحاك ضد الاسلام من مؤامرات وتخطيطات جهنمية فتصدت لهـا كي تحد من خطرها ، وتمنع المسلمين من شرورها ، وتحمي الأمة من الفناء والدمار ٠

الأمر واضح لا يحتاج الى تفصيل أو تحليل ، لكن المشـكلة أننا كمسلمين ، ولم نزل نغط في نوم عميق ، ونستبعد أن تكون الأمور على هذه الصـورة من الخبث والدهاء ، وكلما قلنـا هذا الـكلام رد المخدوعون قائلين بأننا نعلق أخطاءنا وتخلفنا على مشجب الاستعمار والصليبية ، ويا ويلنا ان بقينا على هذه الحال من السذاجة أو حسن النيـة ٠٠

لقد أدخلت أوربا في روعنا أن التمسك بالدين هو التخلف ، وأن

التصدى للصليبية المخادعة الطامعة هو التعصب بعينه ، وأن رفض البدع الحضارية المدمرة لأخلاقنا وقيمنا هو محاربة للتقدم والمدنية . وأن الحفاظ على مكونات شخصيتنا الاسلامية وتراثنا الحضارى هو الرجعية واهدار القيم الانسانية ، وأوهمتنا أننا فى مرحلة الطفولة أو المراهقة ولا نقدر الحرية قدرها ، ومن ثم فلابد أن نعيش فى ظل التبعيةوالانتماء للقوىالكبرى ، واستغلتجهلنا وسذاجتنا وانحراف المفكرين فينا ، فاستولت على مقاليد أمورنا ، ونزحتثرواتنا وخاصة بترولنا ومعادننا ، وأقامت على أشلائنا وتعاستنا وعذابنا حضارتها الصناعية الجبارة ، لقد أخذت أوربا علومنا ومعارفنا ، وجعلتها أساسا لتفوقها العلمى والتكنولوجى ثم رمتنا بالجهل والتخلف ، كانت تترجم تراث أجدادنا ومناهجهم فى البحث والفلسفة والعلوم الرياضية والطب وغيرها الى لغاتهم ، ثم يتفوقون علينا ويزعمون أنهمأساتذة الأجيال ، مع أن تراثنا هو أستاذهم الأكبر ، بلانالكثير من تشريعاتنا الاسلامية قد اقتنصوها وأخذوا منها وزادوا فيها أو أنقصوا عنها ، وجعلوا الكثير منها أسلوبا لهم فى بعض مناحى حياتهم ثم نسبوها الى علمائهم ومفكريهم ٠٠ وهذا شىء لا نعيبه عليهم ولكننا ننكر منهم رمى تراثنا بالتخلف ، ومحاربة اسلاميتنا التى كانت سببا فى سيادة حضارتنا ، كما كانت أساسا لنهضتهم فى أوربا ، وهذا دليل آخر على ما تشتمل عليه اسلاميتنا من بذور صالحة للنمو والعطاء ٠

كثيرون من مفكرى الغرب قد أكدوا تلك الحقائق التاريخية ، ودعموها بالأدلة الدامغة والوثائق والبراهين ، فلنقرأ « كتاب حضارة

العرب تشرق على الغرب » ولنقرأ كتاب « الانسان ذلك المجهول » ولنقرأ ما كتبوه عن ابن سينا والبيرونى والفارابى وابن رشد وابن النفيس وابن الهيثم وجابر بن حيان والادريسى وابن بطوطة وابن خلدون والغزالى وغيرهم ، فكيف نتقاعس ونتكاسل ونحن نملك البذرة الطيبة ، والتربة الصالحة ، والثروات الضخمة ، والقوى البشرية الهائلة ، والأرض الشاسعة ، والمواقع الرائعة ، والأنهار الفياضة ، وشواطىء البحار ، والتاريخ الرائع ، والمواهب الفذة . والتراث الاسلامى الخالد ؟ ؟ ماذا بقى من مؤهلات التقدم والتطور والنجاح حتى نخطو الخطوة التاريخية الحاسمة التى تعيد الحق الى نصابه ، وتضع مقاليد الأمور فى الأيدى الأمينة الطاهرة التى تستطيع أن تنهض بالعالم من كبوته ، وتحقق السعادة والرخاء لبنى البشر ؟؟

نعود فنقول ان الأعداء يخافون على مصالحهم أكثر مما يخافون على دينهم ٠٠ وأن عداءهم للاسلامية أكثر بكثير من حبهم لدينهم ٠٠ وأن تعاطفهم مع الصهيونية ليس هياما وعشقا لمبادئها ، وانما أملا فى ضرب القوى الاسلامية ، وتخلصا من مشاكل الصهيونية وخبثها ونواياها السيئة الغادرة ، ومشاركتها للشيوعية فى ضرب المسلمين وبث الخلاف والشقاق بينهم لا من أجل سواد عيون الماركسية ، ولكنه نابع من حقد صليبى قديم يدفعهم الى الرغبة فى اقتسام الغنائم لدينا ، والأخذ بنصيب من ميراث الاسلام والمسلمين ، وليست « سياسة الوفاق » المزعومة بين الكتلة الشيوعية وأمريكا الا ستارا يخفى وراءه الحقيقة المرة ألا وهى سياسة « تقسيم مناطق النفوذ » سواء أكنا ندرى أو لا ندرى ، فالكفر ملة واحدة ٠٠

وهناك لعبة أخرى دأب الاستعمار الصليبى أو الصليبية المستعمرة على القيـام بها ، وهى اثارة الفتن بين الدول العربية والاسـلامية وتمزيقها وتقسيمها ، نرى ذلك واضحا فى مشـاكل الحـدود التى لايكاد شعب من الشعوب الاسلامية الا ويعانى منها ، وما حادث الصدام بين الهند وباكستان ببعيد ، وهناك التقسيم الذى حدث فى باكستان ثم انفصال مصر والسودان ، والحرب الأهلية فى لبنان ، والأزمة المستحكمة بين اليونان وتركيا ، والخلافات فى الحدود بين الامارات فى الدولة الواحدة ، وخلافات فى المغرب العربى والمشرق العربى ، ثم أليس عجيبا أن تعانى الأقليات الاسلامية الأمرين دائما فى مختلف أنحاء العالم الاسلامى سواء فى الهند أو الفليبين ، وما حدث من مجازر فى نيجيريا وأثيوبيا وأندونيسيا وغيرها لأكبر دليل على التخطيط التبشيرى والاستعمارى فى تلك المناطق ، وأحيانا يختلق الاعـلام الغـربى الأزمات المفتعـلة بين الدول الاسـلامية ، فتتحول الظنون والشائعات الى صدام مسلح وحروب عسكرية واعلامية ، تضيع فيها الدول الاسلامية طاقاتها هدرا ، وتؤخر عملية النمو والتطور ، وبذلك تظل تلعق جراحها ، وتؤرث أحقـادها ، وتبدد طاقاتها فيما يضـر ولا ينفع ، ان مثل هذه الخلافات يجب أن تسوى وتوضع لها الحلول السريعة الحاسمة بروحى من الأخوة التى تربط بيننا ، وبدافع أننا أمة واحـدة متآزرة تظلها راية واحدة راية الاسلام ، ولن نستطيع أن نحشد قوانا الاسلامية فى مواجهة العدوان الاستعمارى الصليبى ، وفى مواجهة التخلف الحضارى الا اذا أدركنا هذه الحقائق مجتمعة ، وفهمنا من يقومون بتحريك الحـزازات والخلافات ، ويبذرون بذور الشقاق والخـلاف بين ظهرانينا ، ولا شـك أن الاستعانة بالنزعة

الاسلامية أقوى واجدى من اثارة النزعات العنصرية أو الوطنية الضيقة ..

تلك الأمور يجب أن يعيها جيدا شبابنا المثقف ، وقادة الفكر والفن والرأى فى بلادنا ، ويجب أن يتعمقها الدعاة الى الاسلام فى عالمنا المعاصر ، وقد يقول قائل ان مشاكل الحياة اليومية ، وما تعانيه شعوبنا من فقر وتخلف ، أجدر بالنظر والاهتمام من المشاكل السياسية الكبرى ، والواقع ان الداء كل لا يتجزأ سواء أصاب القلب أو الكبد أو الرأس ، والعلاج الحاسم يحتاج الى دواء شامل ، يجتث الداء من جذوره ويقضى على الميكروب ، فنحن كالجسد الواحد سوف تظل شكوانا قائمة ، ونظل نتألم حتى ولو كانت هناك بثرة صغيرة متقيحة فى أنملة من الأنامل ، أو فى حيز صغير فى جسمنا ..

فلو تصورنا كيف أن عدونا يفكر عندما ينتج سلعة من السلع ويعمل على الترويج لها وتسويقها لوجدنا عجبا ، انه يجرى الدراسات والتجارب ، ويعرف أمزجة الجماهير واحتياجاتهم ، ويعرف كيف يؤثر فيهم ، ويجعلهم يقبلون على سلعته ، انه يدرس نفسية الافراد وطبيعة المجتمع ، ويفهم عن كثب كل احتياجاته ، ثم يقدم فى النهاية سلعته فى ثوب قشيب ، ويملأ الدنيا ضجيجا واعلاما واعيا خبيثا عنها ، فنشعر أننا نراها فى الصحف والاذاعات والتلفزيونات وفى دور السينما ، وفى ملاعب كرة القدم ، وعلى الحيطان وفى اللافتات الملونة ، وفى كل مكان وزمان نسمع عن تلك السلعة ونعرف عنها أكثر من الحقيقة ..

ذلك هو دأب العدو اللدود فى كل تخطيطاته وأسواقه ، وهو يطبق نفس الأسلوب بالنسبة لكل فنونه وأفكاره وسياساته ، انه يقلب الحق باطلا ، ويجعل من الباطل حقا ، فالمجاهدون الذين يطالبون بحريتهم واستقلالهم يعتبرون فى نظره مجموعة من الارهابيين والعصابات والخونة ، أما المستغلون المغتصبون فهم أبرياء شرفاء ، وأصحاب الحق ، ودعاة مدنية وحضارة ، ألا يحدث ذلك بالنسبة لمناضلى حركة تحرير فلسطين ؟ ؟ ألا تلصق هذه التهم بكل الثوار الشرفاء فى كل أنحاء العالم ؟ ؟ حتى وكالات الأنباء العالمية لا تنقل من الأخبار والتحليلات الاخبارية الا ما يتفق ومصالح أعداء الاسلامية ، كى يكتموا صوت الحق ، ويلوث شرف المخلصين الأمناء ، ويكيل المديح والتبجيل للخونة والمارقين والمستبدين عملاء الصليبية المستعمرة ..

نحن فى عالم كثر فيه الزيغ والتزييف والترويج للأباطيل ، ولن نستطيع أن نتصدى لهذا الركام الهائل من المفاسد والحقد الا بأسلوب التربية الصحيحة ، والعلم الصادق ، وحشد الامكانيات المادية والمعنوية ، والتسلح بالوعى الشامل الحقيقى ، واتخاذ الأهبة لكل ما يجد ، ولابد من أن ننتج الآلة والسلاح ، فلا يمكن أن نكسب معركة ونحن نحارب العدو بسلاح نشتريه منه ، ولا يصح أن يزعم زاعم أننا لا نستطيع ذلك ، فان لدينا من المال والثروات والمواد الخام ما لو أحسن استخدامه وتوجيهه لفعلنا المعجزات ، ان آلاف الملايين من الدولارات التى يملكها العرب ، وخاصة دول البترول والدول المنتجة للمواد الخام ، تستطيع أن تغتنم الفرصة فى هذا العصر ،

وتحقق القوة المادية ، بالاضافة الى القوة المعنوية ، كى يسير الاثنان فى خط متواز وعندئذ نكون قاب قوسين أو أدنى من تحقيق الآمال . وعلى شبابنا أن يعى ذلك جيدا ، لأن الفرصة المتاحة اليوم على حد تعبير أحد الكتاب لن تتوفر لنـا مرة أخرى قبل قرون قد تطول ..

وأعـداء الاسـلامية على يقين من ذلك ، ومن ثم فهم يضـعون العراقيل فى مسيرتنا ، ويضعون التعويقات المختلفة كى يعطلوا نمونا ونهوضنا من كبوتنا ، ويعملون جاهدين ليصرفونا عن منابع الايمان والصفاء والوحدة والقوة ، لأنهم يؤمنون أن فى انتصارنا فناء لهم ، وفى تقـدمنا تقهقرا لنفوذهم وسـلطانهم ، فالدجاجة التى تبيض الذهب يجب أن تحيا مهيضة الجناح واهنة ضعيفة حتى تظل تعطى الذهب ..

ان أعداءنا دائبون على دراسة كل ما يصدر عنا من فكر وفن ، ويتنـاولونه بالدراسة والتمحيص ، حـتى يستخلصوا اتجاهاتنا وتحركاتنا ولا يكفون عن ملاحقة تجمعاتنا السياسية والفكرية كى يعرفوا ماهيتها وفحواها ، فان كانت تسير فى الخط الذى يخـدم مصالحهم ومخططاتهم ، شجعوها وصفقوا لهـا ، وان كانت تدعو الى الصحوة الإسلامية ، دعوة الخـلاص والحرية والانطلاق ، انصبت سهام حقدهم وكيدهم عليها ، وحاولوا خنقها فى المهد قبل أن تنمو وتترعرع ، وهناك آلاف الشواهد على هذا السلوك العدائى المسموم، فكم من شخصيات فذة فى عالم الاسـلام ناشتها حرابهم ورماحهم المسمومة ، فأثاروا حولها الشبهات ، ورموها بالتهم جذافا ، وهى من كل ذلك براء ، وإذا اسـتعصى عليهم هدمها ، لجأوا الى التصـفية

الجسدية عن طريق الاغتيال ، وكثيرا ما كان هذا الاغتيال عن طريق عملاء لهم من بيننا بوحى من تدبيرهم الخبيث ..

ترى متى نفيق من غفوتنا ، وندرك الحقيقة العظمى وهى أننا مسلمون ، نؤمن باله واحد وبمحمد صلى الله عليه وسلم ، وبكتابنا الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تلك حقيقة بسيطة واضحة لا لبس فيها ولا غموض ، وهى كفيلة بأن تنتشلنا من الهوة التى ترديناا فيها ، وتخلصنا من الانهيار والعفن والتمزق الذى شل حركتنا ، ولا يهم بعد ذلك أن تتعدد المذاهب ، وتختلف الآراء ، فالأصل لا خلاف عليه ، وهو جماع الخير كله ، فليحكمنا من يشاء ما دام دستوره كتاب الله وسنة نبيه ولا ضير أن يكون من أية أسرة من الأسر ، أو متناسلا من هذا أو ذاك .. فالاسلامية أوسع وأعمق من تصارعات اللون أو الجنس أو الشعوبية أو المذهبية ، هى الأم الحنون لكل التيارات الفكرية المختلفة ، التى تؤمن بالله ربا ، وبالاسلام دينا ، وبمحمد نبيا ورسولا ، وبكتاب الله شريعة ومنهاجا ..

أما أعداؤنا فقد جعلوا من المذهبية تدينا آخر .. مع أن كلها تنبع من دين الله .. وجعلوا من أئمة الفكر والمذاهب متعادين متناحرين فى البلد الواحد ، وتحت ظل الدين الواحد ، أية حماقة نصبتها شراك الأعداء فسقط فيها رجالنا الضيقو الأفق الذين أعمتهم الأهواء ومظاهر الحياة الزائفة عن ادراك الحق الذى لا يتجزأ ! !

ترى ·· هل يستطيع شبابنا ومفكرونا ـ على مختلف أفكارهم وميولهم ـ أن يعيدوا النظر فى الموقف ·· وأن يتخذوا منهجا جديدا لمواجهة الزحف الأسود الرهيب الذى يريد القضاء على تراثهم وحاضرهم ومستقبلهم ! ··

الصهيونية ..

دين . وسياسة . وفكر . وفن

لقد تحولت اليهودية الى الصهيونية ، واذا كانت اليهودية دينا سماويا فان الصهيونية ليست مجرد حركة سياسية ، وانما هى دين أرضى صنعه اليهود ، هى اختراع جديد قام على أنقاض اليهودية ، ثم اكتسب صورة دينية سياسية فكرية ، لم يكتف اليهود بما أقدموا عليه من تحريف وتغيير فى كلمات التوراة ، بل انهم فى كل عصر يضيفون جديدا يتفق ومصالحهم وفلسفتهم المتعصبة التى تعادى كل ما هو انسانى ، وتتنافى مع الضمير الحى ، وترفض الانصاف والعدل ، فهم أساتذة فلسفة «الغاية تبرر الواسطة» نعم «ميكافيليون» قبل أن تولد الميكافيلية ..

وقصتهم مع المسيح والمسيحية قصة معروفة ، تنضح بالحقد والتآمر والمكيدة ، وتاريخهم مع محمد صلى الله عليه وسلم ومع المسلمين فى فجر الدعوة الاسلامية ملىء بالغدر والخيانة والكذب والنفاق ، ومن منا لا يعرف أنهم نقضوا العهود ، وتحالفوا مع المشركين ، بل زعموا للمشركين أن دينهم ـ أى عبادة الأصنام ـ أصح وأفضل من دين الاسلام ، وكانوا هم البادئين فى بذر بذور الفتنة والشقاق بين أفراد وفئات المجتمع المسلم الجديد ، بما أشاعوه من فتن ، وما اخترعوه من روايات وأحاديث نبوية ، وهم الذين فتحوا

باب الطائفية والشعوبية ، وكثيرا ما حاولوا افســاد أداة الحكم ، وتأليب الجماهير ، واثارة الحروب ، وتـكوين الجمعيات السرية . ونشر الفسق والفجور والانحراف فى كل مجتمع عاشوا فيه ، ولقـد ابتلوا من جراء ذلك بالضربات القـاصمة ، والعقوبات الصـارمة ، فتكرر طردهم من مختلف البـلدان بعد أن أدينوا بعـديد من التهم وارتكاب المؤامرات التى أفســدت الحياة الســياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية . ولذا نراهم أعدى أعداء الاسلامية ، وأشد خصومها عنفا وخطورة ٠

ان أى قارىء لتراثهم ، وأى مـطلع على « بروتوكلات حـكماء صهيون » يدرك عن يقين أنهم هم الذين انحرفوا وعاثوا فى الأرض فسادا واضطرابا ، وبعد أن تكونت لهم دولة فى فلسطين بالمكيدة والخداع ، اتضحت مطامعهم أكثر ، وتبدت شراهتهم فى كل جانب من جوانب فكرهم وقيمهم وفنونهم ، نراهم يتحدثون عن الســلام وهم يعدون العـدة للحرب ، ويتغنون بالعـدل ، وهم منغمسون فى المظالم ، ويدعون للتسامح والحب والتصالح ، وهم صورة صادقة لأبشع ألوان التعصب والكراهية والخصام ٠٠ لقد وصل بهم الحقد الى أن يزوروا كلام الله ، ويطبعوا نسخة من القرآن مليئة بالتحريف والتبديل ، تلك هى صفات وطباع « خراف بنى اسرائيل الضالة » على حسب تعبير المسيح الذى حاولوا صلبه ، وضرب دعوته السمحاء٠

ان عداءهم للاسلامية قديم ، بل ان عداءهم لجميع الأديان الأخرى لا يحتــاج الى أدلة أو براهين ، فتراثهم القـديم والحـديث يغص بالنصوص التى تؤكد ذلك ، وليس غريبا أن ينالوا العقاب من الله

على أيدى عبـاده فى الجزيرة العربية قديما ، ثم فى بلدان ألمـانيا خاصة وأوروبا عامة ، وفى روسيا وغيرها من أقطار الأرض ..

لقد نشروا الكثير من مبادئهم وفلسفاتهم المريضةفى كل الدنيا ، وجرفوا الشـباب والمفكرين والفنـانين الى الهاوية ، لقـد مهـدوا للماركسية وروجوا لها ، باعتبارها فلسفة تهدم الأديان الأخرى ، وتثير الأحقاد بين الطبقات ، وتتخذ التصفية الدموية منهجا لها فى حسم أمور الخلاف الفكرى ، والنزاع العقائدى ، ومكنوا للوجودية على أسـاس أنها تمجد النزعة الفردية المتحـللة من كل قيمة تربط الانسان بخالقه ومن كل عقيدة تدعو للصفاء والمحبة والايثار بين البشـر ، وكانوا وراء بدع الخنـافس والهيبز وغيرها مما أثر على أخلاقيات الشباب العـالمى ودورهم الايجابى فى البنـاء والنهوض والتقـدم ، وفلسفوا انحراف المرأة وشططها ، ومـكنوا لانحرافها ، فانتشرت الاباحية الجنسية والشـذوذ ، وضمرت معانى الوفاق العائلى والأسرى ، فتمزقتأواصر المجتمع ، وشقى الناسشقاء مريرا برغم التفوق التكنولوجى والمـادى ، وكان من جراء ذلك أن مهـدوا لظهور جيل من علماء النفس والاقتصاد والسياسة والاجتماعيهدمون أكثر مما يبنون ، فكانوا أفتـك بالانسان وحضارته من القنـابل الذرية والهيدروجينية ، وكان أن سـلطوا الأضـواء على نخبة من المفكرين والفنـانين ، وفتحوا لهم باب الشهرةوالذيوع ، فمشىوراءهم خلق كثير فى كل أطراف الأرض ، وبذلك لم ينـج من شرهم قطر من الأقطار ، وربما استطاعوا الوصول لكلبيت من البيوت ، لقد سيطروا

على أجهـزة الاعلام مباشرة أو عن طريق عمـلائهم ٠٠ اندسوا فى السينما والمسرح والآداب والفنون ، وامتدت أصابعهم الى محافل الحكم والسـياسة ، نراهم فى البيت الأبيض الأمريكى فى مواقع التفكير والتأثير ، وتوغلوا فى الحياة الاقتصادية وأصبحوا يسيطرون على العـديد من المؤسـسات الصـناعية ورؤوس الأموال ، ومن ثم أصبحوا يملكون زمام الاقتصاد والسياسة والصناعة والفكر والفن ٠٠ وصبغوا كل ذلك بفلسفتهم السوداء أفرادا وجماعات ٠٠ ولهذا فهم كانوا وراء معظم موجات الخراب والدمار التى اكتسحت العالم قديما وحديثا ، وبطبيعة الحال لم يكونوا قادرين على فعـل ذلك لو لم يتخذوا من السذج والبلهاء مخالبلهم يستترون وراءهم ، ويدفعونهم دفعا لتنفيذ مخططاتهم الجهنمية ٠٠ لقد اتخذوا من المحافل الماسونية وأندية الروتارى واليانصيب وأندية القمـار والفن سـوقا رائجة لترويج بضاعتهم ، وبث أفكارهم وسلوكهم ، وهم قبل هذا وذاك قد « حصنوا » أنفسهم ضد تلك المفاسد والأوبئة ، حتى يبيد العـالم ويبقوا هم فى مراكز النفوذ والسيطرة ، ألم تقرر كتبهم وتعاليمهم وتراثهم العتيق أن لهم الحق فى أن يحكموا العالم ، وأن غيرهم من « الأمميين » ليسوا سوى خدم وأدوات لهم ، يستعملونهم فى تحقيق أغراضهم الخبيثة ومطامعهم الدنيئة ؟ ؟ أليس لهم الحق فى قتل من شاءوا ، ونهب أموال من شاءوا ، وأن يقتل أطباءهم المرضى من غير اليهود ، ولهم أن يخونوا ويغدروا ويسفكوا الدماء ويسرقوا ، ما دام ذلك يعود بالنفع عليهم ويحقق المصلحة لهم ؟؟ أليست هذه التعليمات كلها مكتوبة فى « تلمودهم » ؟ ؟

ان الصهيونية أسلوب خسيس فى الفكر والفن والسلوك والسياسة .. هى الدين الجديد الذى صنعه الصهاينة على أنقاض اليهودية القديمة ، هى جماع الشر والفتنة والمقت لكل من عداهم . هى الاستغلال البشع والغدر وتزييف الحقائق ونشر كل ما يحط من قدر الانسان وكرامته وكبريائه وأصالته ..

انهم يجرون العالم كله الى لون من « الهستيريا » الجامحة ، ثم يقفون متفرجين ليجنوا الثمار الملوثة بدماء الأبرياء والمخدوعين والمساكين .. هل يمكن أن يكون ما يحدث الآن مجرد صدفة ؟ ؟

اذ كيف نرى اليهودى فى كل مكان من أنحاء الأرض مرتبط بالصهيونية قلبا وقالبا ، وهم يلتقون على سياسة واحدة ، وفى نفس الوقت نرى العرب والمسلمين متناحرين ممزقين متعادين ، وقد تفرقوا أيدى سبأ ؟ ؟ هل يمكن أن يكون ذلك كله صدفة ؟ ؟

وهل نعتقد أن موجات الفن المنحرف السائدة ، التى جرفت أجيالنا الى متاهات بعيدة عن منابع ديننا ، هل نعتقد أن هذا مجرد صدفة ؟؟ وهل فى الامكان أن نتصور تلك الحملات الاعلامية والحروب الكلامية وغير الكلامية بين بعض رؤساء دولنا جاءت صدفة ؟ .. وهل خروج نسائنا على هذا النحو من التبرج والزينة وفوضى العلاقات بين النساء والرجال ، واهدار الأموال فى المشروبات والأزياء والعبث الرخيص ، هل كل ذلك ضرب من الصدف التى جاءت جزافا ؟ ؟

ثم ما معنى تلك الاطراءات والثناء والتبجيل الذى يكال لفئة من ذوى البطش والطغيان الذين يتخذون العنف والتنكيل والارهاب

وسيلة لحكم الشعوب ، ويبددون ثروات بلادهم ، ويهدرون طاقاتها ، ويمكنون للفساد والرشوة والانحراف ؟ ؟

وما معنى أن نجد نثة من المفكرين والكتاب والفنانين يدوسون أغلى القيم وأروعها ، ويبشرون بالاباحية والتحلل ، ويغرون السفهاء بالأمجاد الروحية ، والتراث العريق ، وينقلون العقول الى جنة موهومة من الخدر أو الغيبوبة الملوثة ، فيقع النـاس فى متاهات الحيرة والتخبط والضلال ، فتتفرق بهم السبل ، وتتباعد بينهم المسافات ، ويبقى كل كائن حى فى جـزيرة مهجـورة ، فنـكون كالمنبت الذى لا أرضا قطع ، ولا ظهرا أبقى ·· ما معنى ذلك كله ؟ ؟ وما تفسير ذلك الموقف الذى يقفه المخدوعون من السياسيين والمفكرين ازاء كل شخصية مخلصة ترى الحقيقة ، وتحاول انقاذ الموقف ، وفتح الطريق أمام الكلمة البناءة والعمل البناء ، وسرعان ما تتكتل القوى والجهود لضرب هـذه الشخصية وتعويقها ورميها بـكل نقيصـة ورذيلة ، واختراع الأكاذيب والافتراءات ورميها بها ·· ما تفسير ذلك كله ؟؟

أريد أن أقول ان وراء ذلك كله أولا غفلة منا عما يدور حولنا من حقائق وتحـركات ، ثانيا : وجـود مخطط صهيونى رهيب تؤازره القوى الاستعمارية الصـليبية ، ثالثا : ترابط كل القوى المعـادية للاسلامية ، بدافع المصلحة ، لحصر الاسـلام وتخضيد شوكته ، ومنعه من الانطلاق وتأدية الرسالة المنوط به ، وليس هذا التصور مجرد وهم أو خيال ، ولـكنه واقع تاريخى وواقع معـاصر ، نراه ونلمسـه كل يوم رآه ولمسـه آباؤنا من قبل ، والجهل لا يعفى من المسئولية ، وقد سبق وشرحنا ما قال مستشار الرئيس الأمريكى

الأسبق « جونسون » فى احدى الجامعات الأمريكية ، حينما حدد نظرته الى الصراع القائم بين العرب واسرائيل واعتباره أن اسرائيل امتداد للحضارة المسيحية فى الشرق ..

ان الصهيونية هى بمثابة نواة الخلية الآكالة التى تتطلع لالتهام الاسلام والمسلمين .. هى حجر الزاوية ، بل هى المحرض والدائم على متابعة تنفيذ المخطط المدمر ، واذا كانت اسرائيل تقف مدججة بالسلاح من أخمص قدمها الى قمة رأسها ، فى قلب العالم العربى ، فيجب أن نتذكر أن هذا السلاح .. ورغيف الخبز .. وكل مقومات الحياة تأتيها من هناك .. من الحلفاء الطبيعيين لإسرائيل .. من ممثلى الاستعمار الصليبى ، ولن تخمد جذوة ذلك العداء للاسلامية فى أى يوم من الأيام ، سيظل ذلك العداء قائما ، مهما عقدت اتفاقيات سلام ، ومهما أقيمت أحلاف ومعاهدات صداقة ، ومهما تناقلت الصحف ووكالات الأنباء التصريحات التى تفيض بالحب والتعاون والصداقة .

يجب أن نصل لهذه الحقيقة المؤكدة ، ونتصرف على ضوئها ، ونرسم سياستنا وخططنا وفى أذهاننا أسوأ الاحتمالات ، ولقد تعمدت فيما أسلفت أن أجعل غفلتنا هى العامل الأول قبل الصهيونية، حتى أضع المسئولية الكبرى على عاتق أجيالنا ، فنحن لا نستطيع أن نصد عدوانا ، أو نخوض حربا ضد غاز لنا ، أو نكسب معركة الا اذا نهضنا من تلك الغفلة ، وعرفنا ما يدور من حولنا والمراد بنا ، والقوى العديدة التى تتآزر وتتجمع لضربنا ، والأساليب المتنوعة — الخفية أو الظاهرة — التى يتبعها العدو لهدم ارادتنا ، وتوهين عرانا ، والنيل منا ، على الرغم من اننا أمة لها طاقاتها البشرية والمادية

الكافية ، وفى الامكان أن نحمى تراثنا وأرضنا وقيمنا وأن يكون لنا المكانة اللائقة بنا فى هذا العالم ٠٠

ترى متى تشفى شعوبنا من هذه الغفلة ؟ ؟

وهناك أمر هام يجب الالتفات اليه جيدا ، اذ كيف استطاعت الصهيونية الوصول الى أهدافها المدمرة ؟ ؟ ان الحقد وحده ، وكذلك النوايا السيئة وحدها غير قادرة على الأخذ بين الصهيونى الى الهدف الذى يرسمه لنفسه ، ولسنا من السذاجة بحيث نظن ذلك الظن فيخيل الينا أن الرغبة ـ مجرد الرغبة ـ توصل الانسان الى الأمل المنشود ٠٠ ان كون الصهيونية عدوا لدودا لنا لا يعنى أن نتجاهل الحقيقة ٠٠ تلك الحقيقة التى تؤكد أن العدو قد اتخذ للأمر أهبته ، وتجهز للمعركة التجهيز الكامل بالكوادر الفنية والأدوات الضرورية ، فلن نكسب معركة بغير سلاح ورجال وخطة وعقيدة ٠٠ لقد استطاعت الصهيونية أن تتيح الفرصة لرجالها كى يتعلموا ، وأن يزودوا أنفسهم بالامكانيات العلمية الواسعة من تعليم ودراسة وتدريب وتجارب ، فحصلوا من العلوم العصرية أقصى ما يستطيعون ، ومن هنا ينبغ فيهم علماء فى شتى الفروع ، بل ظهر منهم رواد وقادة فى بعض تلك العلوم ، فأصبح للعالم الصهيونى فى حد ذاته قيمة ومكانة ، وأمكنه أن يكون ذا تأثير ووزن فى مجال العلم والتكنولوجيا ، وكثيرون منهم تفرغوا تاما للجانب الذى برعوا فيه أو تخصصوا له ، نرى منهم علماء فى الذرة وتطوير السلاح الحربى وفى العلوم الطبيعية والفلسفية والاقتصادية وفى علوم الادارة والسياسة ، ومن ثم لم تكن حروبهم حروبا تقليدية تعتمد على الشجاعة الفردية ، والقوة الجسدية ، وانما كانت حربهم من قبل ومن بعد حربا فكرية

ذات مكر ودهاء ، ومن ثم وجدوا من يستمع لهم ، وينصت لآرائهم . وعاملوا العالم معاملة تبادل المصلحة أو المنفعة ، وهى اللغة التى تفهمها حضارة المادة أو حضارة الظاهر ، وهناك فرق كبير بين من يبدد أمواله فى شراء السلع الاستهلاكية الكمالية ، وينفق على ملذاته ببذخ وبين من يوظف أمواله فى مجالات الانتاج والاستثمار والصناعة، فالأول لا يجد لنفسه رصيدا سوى المتعة العاجلة الزائفة ، والثانى يقوى ويثرى وتتسع رقعة نفوذه واستثماراته ، وذلك كله يهيىء له من اسباب السيطرة والتأثير مالا يتيسر للآخر .. ولهذا وجدنا من يعلن أن معركتنا مع العدو معركة علم وتكنولوجيا ، ولكى نستطيع مواجهة ذلك العدو لا بد لنا من أن نتقدم فى مجال العلم والتكنولوجيا، ولقد أسلفنا وقلنا ان آلاف الملايين من الدولارات والدخول الكبيرة التى نجنيها من البترول والمواد الخام والثروات المختلفة ، كفيلة بأن تحقق لنا الكثير فى مجال الصراع مع العدو ، لأن ذلك العدو يستفيد من أموالنا هذه ، وهى فى بنوكه ويستثمرها فى التصنيع والتجارة وتطوير التكنولوجيا ، والتقدم العلمى الذى يعتبر سلاحه الأول فى صراعه معنا ..

وعقيدتنا السمحاء فى حاجة الى حمايتها بالعلم وأدواته ومنجزاته الحديثة .. فاذا كنا بالأمس نحمى حوذتنا بالسيوف والرماح ، ونفتح الطريق أمام دعوة الحرية والحب والاخاء بهذه الاسلحة التقليدية ، فان تطور الزمن يقتضينا أن نعد أنفسنا الاستعداد الحديث للمعارك الحديثة طبقا لمقتضيات العصر الذى نعيشه ، ولن يحدث ذلك الا اذا كان لدينا جيل من العلماء المحدثين .

وتحت ايديهم الامكانيات اللازمة لتطوير الصناعات والمساهمة في التطور التكنولوجي ..

وهذا يقتضي منا الدعوة الى حركة تجميع كبرى ، فلنسمها وحدة أو اتحادا أو أي شيء آخر ، المهم أن تتكاتف القوى ، وتتآزر المجهودات ، ونحقق نوعا من التضامن أو التكامل الاقتصادى ، ولونا من ألوان الوحدة الفكرية أو السياسية والعسكرية ، وبذلك تضبح ثرواتنا في خدمة الفرد والمجتمع ، أعني في خدمة الدعوة الاسلامية التي نحيا بحياتها ، ونفنى بفنائها ، وننتصر بانتصارها ، ونسعد جميعا بسيادتها على مقدراتنا وسلوكنا وأفكارنا .. وصدق من قال: « ما قصرت المنى ولكن قصر المتمنى » ..

الشيء الآخر هو أن الصهيونية جعلت هدفها فوق كل اعتبار ، فوق الأهواء الفردية ، أو التناحرات الطائفية ، أو الخلافات في الرأى ، انهم يختلفون كثيرا ، لكن على أسس من المنطق ، ويجعلون من أهدافهم ومخططاتهم نقط التقاء واتفاق لا خلاف عليها ، لهذا فهم ينطلقون من كل صوب وفج ، ويأتون من الشمال والجنوب ، والشرق والغرب صوب المركز الذى حددوه هدفا للبلوغ .. ونحن لا ننكر أن لكل انسان أطماعه الشخصية ، وتطلعاته الفردية ، لكنها لا تقف حجر عثرة في الوصول الى الغاية الكبيرة ، هؤلاء الأعداء قد ادركوا خطورة المعركة التي يخوضونها ، وضخامة الهدف الذى يسعون اليه . ويدركون في نفس الوقت أنهم قلة بأنفسهم كثيرون بحلفائهم ، فحالوا أن يوهنوا قوى عدوهم في فترة زمنية وأتاهم فيها الحظ ، ونفعتهم الامكانيات المتاحة التي استغلوها في براعة ودهاء ، لكن

الامور لا تسير دائما على هذا النحو من التوفيق والنجاح ، فسرعان ما يدب فيهم عامل الوهن والفناء ، ويزول الزيف والخداع ، وتنفك الروابط المصطنعة التى وثقوها فى غفلة منا ، ويعودون كما كانوا « تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى » ، وتظهر الطبيعة السيئة التى دمغوا بها ، فمعركتهم ليست لله وانما للشيطان ، وكفاحهم من أجل العاجلة وليس الآجلة ، ولن يتزعزع بنيانهم ، وينهار سلطانهم الا اذا ودعنا غفلتنا ، وآمنا بالاسلامية سلوكا وفكرا ، واتخذنا للأمر عدته ، وانطلقنا فى معركتنا تحت راية الحق والفضيلة فى سبيل الله وحده ، عندئذ ينكشف الغطاء ، ويزول الزيف ، وتصبح كلمة الله هى العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، حتى ولو ساقوا جيوش الأرض قاطبة لحربنا ‥ « كتب الله لأغلبن أنا ورسلى » ‥

(صدق الله العظيم)

سـلطان المـادية

لقد استطاع المؤمنون الصادقون أن يدركوا أبعاد الاسلامية ، منهجا وسلوكا ، ونظرية وتطبيقا ، حق الادراك ، ومعنى ذلك أيضا أنهم فهموا الهدف والوسيلة ، كان الهدف هو الله ، وكان الطريق الى رضاه هو التمسك بآيات كتابه ، وسنة نبيه ، ولم تكن الحياة عند المسلم مادية صرفة ، ولا روحانية مطلقة ، بل كانت الحياة صورة سوية ، وانسجاما مع واقع الانسان ، وتوافقا مع طبيعته وفطرته ، ومزيجا بين الروح والجسد ، والدنيا والآخرة ، دونما افراط أو تفريط، ان البناء العقائدى أو الفكرى للمسلم بناء دقيق متوازن ، قائم على أسس قوية ، ودعائم صلبة ، يستلهم الوحى الأمين ، ويجوب الآفاق بعقل متفتح حر ، وبصيرة نقية تربت فى بيئة طاهرة تأنف من الاثم والفساد والتلوث .. فى اطار هذا الفهم ، وفى ظل تلك العقيدة استطاع المسلم أن يضرب فى جنبات الأرض ، فلا يصدر عنه الا الصدق فى الفعل والقول ، وبرغم ايمانه بالحرية الا أنه ملتزم .. ملتزم بشرع الله العادل المنزه عن الهوى أو الانحراف ، ومن ثم فقد كان المسلم فى حربه أمينا مع عقيدته ، وكان فى سلمه مرتبطا بمبادئه ، وفى تجارته لا يتخطى قواعد الوفاء والولاء ، وفى علمه لا يخضع لضغوط المنفعة أو التعصب أو الانحراف ، فالعلم يؤمن بالصدق والموضوعية ، ويرتكز على التجارب والمقدمات والمشاهدة والاستنتاج ، وهى الجوانب التى تحتاج الى الجهد البشرى ، أما شرع الله بنصوصه وشروحه فهو فوق الشك أو المعارضة ..

فى هذا الجو المشبع بالصدق والأمانة والايمان ، لم يفرز المسلم

الا كل عظيم وجليل فى أقواله وأفعاله ، فعلى المستوى الفردى كان الاخاء والمحبة والتضحية ، لهذا ولد المجتمع المتآزر المتحاب ، ووجدت الحضارة الكبرى التى ما برحت تشيع الأريج والمجد فى ثنايا التاريخ ، والتى ما زالت تطل علينا كتجربة حية لا مثيل لهـا ٠٠ وعلى مستوى الجماعة كان التنظيم الدقيق ، والتشريع الالهى ، والعدل الاجتماعي ٠٠ نعم ٠٠ كان هذا النجاح بسبب وضوح الهدف أو الغاية ، وبسبب نظافة الوسيلة وجلاء أصولها ومسالكها ٠٠

لقد أدرك أعداء الاسلام ذلك ٠٠

ومن ثم أدخلوا فى روع القادة والمفكرين والفنانين وعلماء الاقتصاد والسياسة ٠٠ أقول أدخل أعداء الاسلامية فى روع هؤلاء جميعا أن الرخـاء المـادى هو هـدف المجتمعـات الحـديثة ٠٠ الرخاء المـادى أو السعادة كما يطلقون عليها ٠٠ واستطاع قادة الفـكر والرأى أن يدخلوا على المسـلم من كل جانب ٠٠ وحاصروه بهذا الفكر المسموم صباح مساء ، اذا فتح الصـحيفة أو قرأ المجـلة ، أو دخل السينما والمسرح ، أو اطلع على كتاب ، وجد هذه الفكرة المشئومة تطل برأسها ٠ لا شيء سوى الرخاء الاقتصادى أو الانتعاش الاقتصادى ٠٠ لقمـة العيش ٠٠ الترفيه ٠٠ وأصبح كل شاب أو فتاة لا يفكر الا فى العائد المجزى ، والمرتب الضخم ، وأدوات الحيـاة الحديثـة من تليفزيون وثلاجة وغسالة وسيارة بصرف النظر عن امكانياته المحدودة ، المهم أن أحلام الشباب كلها تحوم حول الدخل الكبير والاستمتاع بالحياة وما فيها من وسائل مستحدثة للمرح والراحة وقضاء الوقت بطريقة مسلية ٠٠ نحن لا ننكر على أحد أهمية العامل المادى فى انتظام أمور

الحياة الدينيوية .. ولكننا نعترض بشدة على أن يكون الجانب المادى هو كل شىء .. أو أن يصبح الاستمتاع بمباهج الحياة المادية هو الهدف الذى لا غاية بعده .. ونستنكر الضلال الاعلامى الذى يزين لنا هذه الحياة التافهة ، وينقل عن أوربا وأمريكا الصورة المغرية لتكالب الناس على المتع وكل ما يدور فى فلك الحياة المادية من مخترعات وسلع استهلاكية أو مطعم ومشرب وملبس ، ان القيم العليا بالنسبة للمسلم هى الأساس .. ولا يمكن أن تكون مقاييس السعادة « بالكم » .. فالملايين لا تسعد صاحبها ، اذا وقع فريسة القلق والخوف ، أو بات يعذبه الأرق واليأس ، أو ظل يتلوى من آلام عضوية أو نفسية مبرحة .. فالمادة ضرورية فى الحياة وليس من الضرورى أن تتناسب الضرورة المادية مع « الكم » المادى نقصا أو زيادة ، والذين يرتكبون الحماقات من أجل الحصول على المتع المادية انما ينظرون الى الغد نظرة قصيرة حمقاء ، فليس الوجود منصب على الحياة البسيطة القصيرة التى نحياها ، ولا على الانتصارات الصغيرة التى ترضى غرورنا وكبرياءنا ، ولا ترتبط من قريب أو بعيد بعقيدتنا ، وعندما تكون المادة غايتنا ، فستتحول الدنيا الى مزرعة تعسة يتخاطف فيها الناس الثمرات ، أو تصبح غابة مكتظة بالحيوانات المفترسة والوحوش ، لا يفوز فيها الا من أوتى القوة والسطوة والصولجان ، ولا حياة فيها للضعفاء والمساكين ، والحياة المادية الصرفة لا تسمع فيها صوتا يهتف باسم الله ، ولا همسة حب لتعس ، ولا ترى فيها من يطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ، ولا تجد من يتسابقون الى التضحية والعطف والايثار واعلاء كلمة الله ..

والحياة المادية الصرفة تخلق الأنانية والأثرة والحقد ، وتصيب الناس بجنون المنافسة ، وتجنح بهم الى الخوض فى دروب الفساد والرشوة والنفاق والوساطة والمحسوبية والدعارة ، أو تجر الى الذل والخوف والعبودية ، وهذا ما حدث فى الغرب والشرق ، فى العالم الرأسمالىأو الشيوعى ، حينما سيطرتالمادة ، وأصبحتأثيرها خطيرا فى الفكر والسلوك والفن والسياسة والاقتصاد ..

أعود فأقول ان أعداء الإسلامية قد صدروا الينا هذه المفاهيم ، وملأوا رؤوسنا بالأفكار الشاذة الغريبةعندينا وعقائدنا ، وأصبحت جماهيرنا تتبع – دون وعى – هذه الفلسفاتالمادية المتطرفة ، ونسيت جماهيرنا أن الله هو الغاية .. وليست المادة هى الغاية .. ان المادة مجرد رسيلة من الوسائل العديدة التى تمدنا ببعض الطاقة التى تساعدنا فى الوصول الى الله .. فعندما نعرف الله ونؤمن به ، نعرف بالضرورة قيم الحب والعدل والاخاء والتضحية والصبر ، وندرك أن التقوى خير الزاد ، وأن المؤمن الحق هو الذى تتحول حياته الى حلقات متصلة من الصبر والجهاد فى سبيل الله ، لأجل أن تصبح كلمة الله هى العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ..

فالتبشير بالحياة المادية الصرفة ومباهجها ، وجعلها هى الغاية التى لا غاية بعدها ، كانت هى الغارة التى شنها أعداء الاسلامية على أمتنا ، ومن ثم فقدنا تميزنا ، وانماعت شخصيتنا ، ولم نعد تلك الأمة التى لها مواصفاتها ومعاييرها الصادقة ، وتشريعاتها الالهية، أصبحنا كائنا شاذا غريبا يرتدى أية أزياء ، وينطق بأى لسان ، ويحكم بأى قانون ، ويلهو بأى فن ، وتحولت الساحة الاسلامية الى

أخلاط عجيبة ، أو أصبحت كالثوب المرقع ، وتفتح أذنيك فتسمع كل شاذ وغريب من المشرق أو المغرب ، وتنظر بعينيك فتجد حلفاء الصليبية والشيوعية والاستعمار والالحاد والمبادىء الشاذة ، كلهم يخوضون معركة شرسة ٠٠ ضحاياها ٠٠ كل ضحاياها منا نحن ٠٠ نقتل أنفسنا بالأسلحة التى يقدمونها لنا ، وننفق على الولائم والسهرات الحمراء ، والسجون السوداء من المعونات التى يتفضلون بها علينا كذبا وبهتانا ، كل ذلك الطوفان من الحقد والتدبير الحاقد قد مسخ الوجه الاسلامى لأمتنا ، وحول حشودنا المؤمنة عن غايتها النبيلة ، وفتح لها باب الضياع والخسران على مصراعيه ، لكن الأمر لم يكن بهذا اليسر وهذه السهولة ، لقد تيقظت الفئات المؤمنة الواعية ، ورأت ما يدبر للاسلام من مكيدة ، وما يحاك لشعوبه من دسائس ومؤامرات قاتلة ، فحاولت جاهدة أنتكشفعن وجهالحقيقة ، وتشرح أبعاد التآمر الدامى ، واتخذت أسلوبالحكمةوالموعظةالحسنة منهاجا لها ، ودعت هذه الفئات المؤمنة جموع الناس الى العودة الى الحق والى طريق الله ٠٠ طريق النجاة والعدل والحرية والخلاص ٠٠ وما كان من المتوقع أن يسكت أعداء الاسلامية عن دعوات البعث الاسلامى الصادق ، وليس من المعقول أن يقف الأعداء مكتوفى الأيدى، وهم يرون كل ما بنوه ينهار ويتحطم ٠٠ فكان أن أعطت اشارة البدء ٠٠ وهكذا فتحت السجون والمعتقلات ، ونشأت طبقة جديدة من الجلادين المرتزقة ، تربوا فى أحضان العسف والفساد والعبودية، فاستباحوا دماء الأبرياء ، وأعراض الأنقياء ، فقتلوا ٠٠ وفرضوا الحراسة ٠٠ وسلبوا ٠٠ ونهبوا ٠٠ وملأوا الصحف والاذاعات والمجلات ألوانا غريبة من الأكاذيب والترهات ، والصقوا بالشرفاء

والأبرياء من رجال الدعوة الاسلامية أبشع التهم ، وخلقوا عالما من الوهم والأكاذيب •• وظنوا أن ذلك هو ختــام المعركة ، ولن يقوم لدعاة الاسلامية بعدها قومة ••

لقد كانت مدارس السجون هي المنطلق الثاني للمخطط المادي بعد المنطلق الأول وهو انحراف الغــاية •• وفي السجون اتخذت أساليب عجيبة لزعزعة العقيدة ، وتوهين عرى الايمان ، ودك ماتبقى من حصون شامخة في قلوب الرجال الأتقياء •• وقصة الطغاة مع كتائب العقيدة والايمان قصة معادة قديمة ، فهي مواجهة فظة بين الحق والباطل ، يسـتغل فيها الطغيان كل ما أوتي من قوة وبطش وحقـد ، ليحتفظ بالسلطة في يده ، ويشبع في نفسه نزوات الغرور والمجد الكاذب ، متوهما أنه بذلك يحمي أمن الوطن والمواطن ، ناسيا أنه بذلك يجر الوطن للخراب والدمار ، ويقتل في النفوس نزعة الحب والحـرية ، ويخرج من مدرسته الفاشية جموعا تسير تحت كنف الذل والهوان ، والمستذلون لا يستطيعون أن يحققوا اسـتقلالا ، أو يحموا أرضا ، أو يخلقوا كرامة ، أو يصنعوا تقدما ، حتى ولو كانت جرائمهم ترتكب باسم التقدمية أو باسم الصالح العــام •• ونسي هؤلاء أو تناسوا أنهم بذلك يعتبرون ألعـوبة في يد أعداء الأســلامية ، اذ يمدونهم بالوســائل الخبيثــة الخسيسة ، ويروجون لطغيانهم ، ويلتمسون لانحرافهم المعاذير •• هؤلاء الطغاة هم أعداء الاسلامية وان كانوا مسلمين ، وهم أنصار الاتجاهات المــادية الصرفة ، والهادمون لمعاقل الحرية والايمان وكرامة الانسان •• كم في السجون والمعتقلات من مآس تشيب لهولها الولدان •• ولعل التصفية الجسدية هي أقصر الطرق للقضــاء على الايمــان ، ولكن التدمير النفسي للمؤمنين في

السجون هى أبشع وأحط وسيلة ترتكب فى حق الانسان والايمان . لأنها عملية خبيثة تستخدم فيها حيل علم النفس ، وتجعل من الانسان الذى كرمه الله حقلا للتجارب فيصبح المخلوق البشرى شبيها بحيوانات المعامل ، وتوجه اليه أقذع ألوان السباب والشتائم ، ويخضع لتجارب مريرة من العـزلة والتجويع والتخويف ، والصاق التهم والنقائص والرذائل بالمثل العليا ورجالها الأطهار ، والبحث فى الدين عن سند مخترع أو قول ضعيف ، أو اللجوء الى التحليـل الخاطىء والتفسير المنحرف ، والتأويل المغرض فى جمـع النصوص والقـرائن لادانة الأبرياء ، والنيل من معتقداتهم ،وبذر بذور الفتنة والشكوك وسوء الظن بين الأخ وأخيه ، والزوج والزوجة ، والجنـدى والقائد ، ومحاولة تدمير الكوادر التنظيمية للمؤسسات الاسلامية ، كل ذلك تحت ستار حملة اعلامية ظالمة ، تعتمـد على الكذب والتلفيق لاثارة الجماهير المخدوعة ، وتحطيم الروح المعنوية لدى المجاهدين فى سبيل الله ، وانتزاع الاعترافات المطلوبة ــ المخترعة ــ بوسائل التعذيب الشيطانية المستوردة من خبراء أوربا وأمريكا وروسيا وغيرها ، هؤلاء الخبراء الشياطين الذين جندتهم المادية الملحـدة ، والصليبية الحاقدة دون وازع من دين أو ضمير ، والهدف الأكبر من وراء ذلك هو صرف دعاة الاسلامية عن رسالتهم المجيدة ، وعزلهم عن المجتمع ، كما فعلوا حينما حاولوا عـزل الدين عن الدولة ، ولا يمـكن أن ينجو من هذه الفتنة الشرسة ، وتلك الحرب النجسة الا من حمى الله .

ان التصفية الجسدية والنفسية التى خطط لهـا أعداء الاسلامية كانت جزءا من مخطط كبير ، وليس أدل على وجود هـذا المخطط من الحقائق التالية :

● **أولا** : ان ضرب التجمعات الاسلامية كان يحدث فى أكثر من بلد اسلامى فى أوقات متقاربة ، نراه فى مصر أو فى باكستان أو فى المغرب العربى أو السودان أو الحبشة أو تركيا أو أندونيسيا أو الفليبين .

● **ثانيـا** : اتخاذ نفس الاساليب فى ضرب التحرك الاسلامى ممـا يوحى باتفـاق تام على تطبيق خـطة عامة للوصول الى الهدف الخبيث .

● **ثالثـا** : تآذر وسائل الاعلام مع السلطة ، واتخاذها الكذب والتلفيق والحملات الظالمة ضد الأبرياء ..

● **رابعـا** : اجهاض الحركات الاسـلامية قبل أن تبلغ مرحلة القوة والتأثير الكاملين .

● **خامسا** : مطاردة الأفراد ، والتضييق عليهم ، اذا بدا أن لهم فكرا مؤثرا ، أو لمعوا فى مجال القيادات الجماهيرية. ومحـاولة صرف النـاس عنهم بأية وسـيلة من الوسائل ..

● **سادسا** : يظهر أعداء الاسلامية أنفسهم وكأنهم هم وحدهم الفاهمون لحقائق الاسلام ، والحافظون لتراثه ، والمدافعون عنـه .

● **سابعا** : التمسح فى الفكر الاسلامى ، والصاق شعاراتهم وفلسفاتهم ببعض النصوص التى يشرحونها على هواهم ، بطريقة تخدم أغراضهم . كل ذلك باسم التطور ، وباسم التصور الدينى لحقائق الدين

فى العصر الحديث أو بالأسـلوب المعاصر ، وفى الوقت نفسه يرمون المخلصين من الرجال بالجمود والرجعيـة ، وبالتخلف والتعصـب ، ويظهرونهم بصـورة منفرة تشـمئز منها النفـوس ، حـتى المحاكمات التى كان يساق اليها دعاة الاسلامية ، كانت تعقـد بطريقة سرية ، وفى ظل السلطات الاستثنائية ، حتى لا تعرف الجماهير الحقيقة ٠

وتحضرنى فى هـذه المنـاسبة حادثة مذبحـة سـجن طرة فى ١٩٥٧/٦/١ والتى راح ضحيتها ٢١ شهيدا ، وعدد كبير من الجرحى ، لقد صـدر بيان رسمى آنذاك فى الصحف المصرية ، وأذاعته وكالة تاس السوفييتية ، هـذا البيان يقول أنه حدث صـدام بين بعض السجناء وحراس السجن ، وقد أدى هـذا الصـدام الى وقوع بعض الاصابات بين الطرفين ٠٠ هكذا كان البيان ٠٠ لم يذكر أن هنـاك ضحايا ٠٠ ولا لمن ينتسب هؤلاء الضحايا ، ولم يحدد سبب الصدام الذى كان فى الواقع صداما من طرف واحد ٠٠ ولم يذكر البيان أن النيابة قد أمرت ـ رغم أنفها ـ بحفظ التحقيق ٠٠ ولم تذكر الصحف شيئا عن أولئك الشهداء الذين قتلوا ودفنوا فى صحراء العباسية فى أعوام ١٩٥٤ ، ١٩٥٥ ، ١٩٦٥ ، أكان هذا هو العدل والحرية وميثاق الشرف ؟ ؟ ٠٠

ان عداء المـادية للاسلامية عداء لا يعرف الرحمـة ولا العـدل ، ولا يرعوى من وازع من دين أو ضمير ، هذا العداء الخبيث يتزيى بأزياء مختلفة خادعة ، تخفى وراءها كل حقد ومكر ، وهذا العـداء قد استغل الفكر والفن الزائفين فى الترويج لبضاعته ، واستطاع أن يموه

ويرشو ويعد ويهدد ، ويجر وراءه المخدوعين من رجال الدين ورجال القلم ، تحت شعارات براقة مسمومة ، ومن ثم لم يكن فى استطاعة الجماهير أن تكشف الحقائق الا بين فئات قليلة من الناس كان لهـا من عمق النظرة ، وصدق البصيرة ، والالتزام بمنهج الحق ، مايجعلها تنجو من السقوط بين حبائل الشياطين ، أو تنخدع بالألفاظ البراقة والشعارات الخادعة ٠٠

ليس العجيب اذن أن تحشد هذه الحشود كلها لضرب الاسلامية، وليس العجيب أن تكون المعركة على هذه الدرجة من الشمول والدقة والتخطيط الجهنمى ، ولكن الأعجب من هذا كله ، أن يخرج من تلك المحن القاسية رجالاً ما زالوا يؤمنون بالله ، لم يتزعزع ايمانهم من خوف ، ولم ترهبهم الدماء التى سالت ، ولم يوئسهم النصر الكاذب الذى حققته أجهزة القمع أو الجلادون الغلاظ الأكباد ٠٠ أليست هذه معجزة ؟ ؟ انها سر من أسرار الاسلامية التى حفظها الله وحماها من شر المفسدين على مختلف العصور ٠٠

ولا يفوتنا فى هذا المقام أن نرفع الشعار الاسلامى الخالد فى مواجهة المادية حيث يقول الله فى كتابه العزيز « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا » ٠ فالمسلم يعمل لعمران الدنيا وخدمة البشر ، والاستمتاع بنعم الله فى الأرض بالشروط التى شرعها الله سبحانه وتعالى ، على أن يكون الله من وراء القصد، وحتى تكون كلمة الله هى العليـا ، فالدنيا دار فناء ، والآخرة دار بقاء ، وعلى المؤمن أن يأكل ويشرب ويلبس دون اسراف ، وأن يراعى حقـوق الآخرين فى ماله وصـحته وعلمه ودينه ، ملتزما بالقـيم الانسانية العليـا ، مؤمنا أن المـادة وسـيلة لا غاية ، وأن مظاهر

السلطة والقوة شر داهم اذا استغلت فى تحقيق الأنانيــة والأثرة والأمجاد الشخصية ، وهى طاعة وعبادة اذا مهدت الطريق المستقيم لبنى البشر كى يسيروا تحت لواء الحب والاخاء ، والطهر والنقاء ، والصدق والتعاون ، والجهاد فى سبيل الله ، ونشر الحق والفضيلة كى يسعد النـاس ويأمنوا على عقيدتهم ومستقبلهم ، وأعراضهم وأموالهم ، وكرامتهم وحريتهم ..

● ولا شك أن سيطرة المادية على حياة المسلم تمسخ شخصيته، وتفقده السمات والملامح والأفكار التى تجعله مسلما حقيقيا ، وهـذا هو سر تميع الشخصية الاسلامية فى مجتمعاتنا كما قلنا ، فلا النساء يمثلن حقيقة المرأة المسلمة اليوم الا ما ندر ، ولا الرجال فى متاجرهم ومصانعهم ودواوينهم تبدو عليهم صـفات الرجال المؤمنين الذين حققوا أعظم وأعدل حضارة عرفها التاريخ ، ولا دور العلم فى بلاد المسلمين تكتسب الصفة الاسلامية ، بعد أن سيطرت المناهج المـادية الملحدة على العلم والفكر والفن والسياسة والاقتصاد والتشريع ..

أرأينـا كيف تمكنت المـادية من تدمير الأمة الاسلامية منهجا وسلوكا ، وأن هذه الفلسفة قد أوجدت مشكلات وأمراضا وانحرافات لا يمكن أن يكون الاسلام مسئولا عنها بأى حال من الأحوال ؟ ؟ .. واذا لم يدرك علماؤنا ومفكرونا وقادتنا هذه الحقائق فلن يتحقق لنا نصر ، ولن تحل لنا قضية ، ولن ننال الحرية الحقيقية ، ولا الاستقلال الذى ننشده ، ولن نستطيع فى ظل المفاهيم السقيمة أن نتخذ المكانة اللائقة بنا ، تلك المكانة التى أرادها الله لنـا « كنتم خير أمة أخرجت للنـاس » .

الماركسية .. فى مواجهة الإسلامية ..

لا أعتقد أن قضية عداء الماركسية للاسلامية تحتــاج الى اثبات أو تدليل ، فذلك أمر مفروغ منه ، لأن كتابات « ماركس » ، وزعماء الحركة الشيوعية وكذلك كل من شارك فى صنع النظرية الماركسية أو تغييرها ، كل هؤلاء زعموا أن الأديان من صنع البشر ، وأنها حيلة ماكرة لاستغلال الضعفاء والفقراء لمصلحة الاغنياء والاقوياء ، وأنهــا أفيون الشعوب ، تخـــدر المظلومين والكادحين حتى لا يشـــعروا بمأساتهم ، ولا يحاولوا انتزاع حقوقهم المسلوبة ، وعلى الرغم من أن الماركسيين يصفون دراساتهم وتحليلاتهم بالموضوعية والواقعية، الا أنهم لم يكونوا موضوعيين يقينا حينما عمموا أحكامهم الخاطئة بالنسبة للأديان على الاسلام بالذات ، ومعروف أن الاســلام له مبادىء خاصة تنظم العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، والشـيوعيون لم يتنــاولوا هـذه الجوانب بالدراســة المستفيضة أو التحليل الشــامل المتكامل ، فالقضية أســاسا قضية جهل وعدم موضوعية على الاطلاق ، وقد حاول البعض منا أن يجمع بين الاسلام والماركسية ، مثال ذلك ما قاله « سوكارنو » الذى قال « أنا ماركسى مسلم » ، وحاولت بعض الأحزاب الشيوعية ان تخدع الجمـــاهير المؤمنة فى بلادها ، وتتقدم برامج سياسية واقتصـادية فيها لون من ألوان الوفاق الزائف بين الماركسية والدين ، هذه المحاولات باءتكلها بالفشل ، لأن سياسة الماركسيين وأخلاقياتهم وتشريعاتهم وأساليبهم فى التربية وهيــاكل التنظيمات الادارية ، والنشــاطات الفنيــة

والحريات العامة من وجهة نظرهم ، كلها تتعارض مع الدين ، وتعلن عليه الحرب الخفية ، وتحاول الحد من تأثيره ، وضرب أنصاره وعلمائه كلما سنحت الفرصة لذلك ، وكان من جراء ذلك ضياع الكثير في الدول التي ابتليت بالفكر الماركسي ، أو جعلت من الماركسيين أوصياء على أجهزة الاعلام والتوجيه ..

الماركسية اذن لها وجهة نظر بالنسبة للدين ، سواء أعلنت ذلك أم لم تعلنه ، وتعتبر الدين رجعية وتخلفا وعقبة كأداء في طريق نموها وانتشارها وسيطرتها ، ولهذا كانت الأحزاب الشيوعية دائما في ناحية والتجمعات الدينية في ناحية أخرى ، ولم تكف الشيوعية عن تدبير المؤامرات ضد القوى الدينية ، مستخدمة أبشع الوسائل وأحطها ، ولا يخفى على أحد تلك التجربة المريرة التي خاضتها الشعوب الاسلامية في علاقاتها مع الشيوعية ، فقد كانت القروض التي تقدمها للدول (الصديقة) قروضا ومعونات مشروطة .. بثمن غال ، وكان أول هذه الشروط ضرب الحركات الاسلامية ، والتمكين للقوافل الحمراء كي تتولى زمام الأمر في المناصب القيادية والاعلامية ، وفتح أبواب السجون والمعتقلات لكل من تحدثه نفسه بانتقاد الشيوعية الدولية أو الدولة الأم (روسيا) ، وقد يقول قائل بأن بعض الحكام قد ضربوا التجمعات الماركسية كما ضربوا التجمعات الاسلامية ، والواقع أن ما حدث هو صدام مؤقت في بعض الأحيان بين السلطة والشيوعيين ، وكانت ظروف هذا الصدام في الحالات التالية :

١ ـ قد تشم السلطة رائحة خطر داهم يتهددها من الشيوعيين

المتطرفين فتبادر باتخاذ الاجراءات الضرورية التى لابد منها لحماية نفسها ، ومنـــع تفشى الخطر ، هؤلاء المتطرفون لا يشكلون مجموع التكتل الشيوعى وانما هم فئة قليلة منه ، خرجت على ارادة القيادة الرئيسية ٠

٢ ـ أحيانا كانت السلطة تحاول أن تظهر للشيوعية الدولية أنها قادرة على خنق الحركات الماركسية أو تركها لتنمو وتترعرع ومن ثم فهى تلجأ الى أسلوب من الضغط أو الابتزاز لتنال قدرا من العون أو التأييد عند تخفيف القبضة على التنظيمات الشيوعية ٠

٣ ـ ان افتعال الصدام مع الشيوعيين كان يسير فى خط متواز مع طبيعة العلاقات بين روسيا والدولة (الصديقة) فاذا ما تحسنت العلاقات ، ترك الحبل على الغارب للشيوعيين ، واذا ساءت العلاقات، انعكس ذلك على معاملة الشيوعيين وأذنابهم ٠

ومع ذلك فان لحظات التوتر بين السلطات وبين الشيوعيين تعتبر كما قلنا مؤقتة ومحدودة ، أما ضرب الاسلاميين والتنكيل بهم فقــد كانت سياسة ثابتة لا تتغير ، وكأنها هدف متفق عليه ، أو لعــله الشىء الوحيد الذى لا خلاف عليه بين الماركسيين وأعداء الاسلامية من كل صوب ولون ٠٠

والشيوعيون ينظرون الى التاريخ ويحللون أحداثه ومراحله من خلال نظريتهم ، وفى ضــوء المادية الجــدلية ، وصراع الطبقات ، والعامل الاقتصادى الذى يعتبر فى نظرهم العامل الرئيسى ان لم يكن العامل الأوحد ، ولذلك نراهم يعتدون على كرامة العلم والعلماء ،

ويكتبون التاريخ من وجهة نظر ضيقة منحرفة ، فزيفوا الحقائق ، وشوهوا البطولات ، ولوثوا المبادىء العظيمة ، وداسوا القيم الرفيعة، فالجهاد فى نظرهم عدوان واستعمار ، ونشر الدعوة والأخلاق الفاضلة تخلف ورجعية ، والتراث الدينى خرافات ومتاهات وتخدير للشعوب، والحديث عن الله والعبادات والشعائر مضيعة للوقت وهوس وسلبية .

وقد طبقت هذه السياسة بحذافيرها فى الجمهوريات والدول الاسلامية التى ابتلعتها الشيوعية مثل تركستان الشرقية والغربية وغيرها ، فقد أحيلت المساجد الى أندية ومقار للحزب ، ان لم تهدم على رؤوس المصلين ، وأحرق الكثير من المصاحف وكتب التراث ، وسيق العلماء الى الموت أو العمل فى معسكرات السخرة أو المنافى البعيدة فى سيبريا حيث البرد والموت والعذاب ، وديست القيم الفاضلة والأخلاق .

ولا أعتقد أن هناك عاقلا ينكر جو الرعب والارهاب والبؤس الذى يشيعه الحكم الشيوعى أو النفوذ الشيوعى فى أى بلد من بلدان العالم .. بل ان مجرد الخلاف فى بعض الأمور السياسية بين بعض بلدان المعسكر الشيوعى نفسه ، قد دفع روسيا لسحق المجر وتشيكوسلوفاكيا ، فأريقت الدماء ، وأذيق الناس ألوان العنت والشقاء ، هذا فى عقر دارهم فما بالك اذا كان الصراع مع غيرهم الذين لا يتفقون معهم فى خط من خطوط فلسفتهم الفكرية ؟ ؟ ..

ولا يستطيع منصف أن يؤمن بضرورة التصفية الدموية فى صراع

الطبقات مهما كان الهدف ، ومهما كانت الغاية ، ان للانسان حقه في الحياة الحرة الشريفة ، وله كل الحق في أن يعبر عن أشواقه وآماله وآرائه ، فحياة الكبت والرعب ليست بحياة ، واذا لم يدرك العالم هذه القضية الخطيرة ، فان مستقبل الجنس البشرى كله ـ وليس الاسلاميون وحدهم ـ مهددون بكارثة عامة لا مهرب منها ولا نجاة ٠٠ واذ كنا نحمل على الصليبية الاستعمارية حملات شعواء ، فان حملتنا على الشيوعية يجب أن تكون أشد وأعنف وبعض الشر أهون من بعض ٠

وعداء الشيوعية للاسلامية لا يتوقف عند حد النصوص والمقتطفات الواردة في كتبهم ونظرياتهم ، تلك التي جمعها وشرحها الكثيرون من كتاب الاسلام ، إلعداء لا يتوقف عند تلك النصوص ، وانما تحول الى سياسة دائمة ، فتاريخ روسيا مع دول العالم الاسلامى حافلة بالعدوان والحقد ، فقد كانت روسيا ثانى دولة اعترفت باسرائيل عند انشائها ، ولما عقدت أواصر الصداقة المزعومة بيننا وبينهم ، ظلت تعطى اسرائيل الكفاءات والمهارات على صورة مهاجرين يهود ، وكانت أمريكا تفتح مخازن السلاح الحديث لاسرائيل وتقدم لها المعونات الهائلة ، في الوقت الذى تقدم لنا روسيا سلاحا محدودا لا يكفى لمجرد الدفاع ، وتقبض الثمن بأرباحه المركبة ، وعندما احتدمت المعركة في أكتوبر ١٩٧٣ وقفت وقفة الغدر والخيانة ، برغم ما نزحته من أقواتنا وأرزاقنا ومواردنا الى بلادها ٠٠ اسرائيل تأخذ السلاح بالمجان ، ونحن نشتريه بعرقنا وأقواتنا ٠٠ بل نشترى فقط ما تسمح به الشيوعية الدولية ٠٠ تلك التجربة المريرة لايمكن أن تنساها الشعوب

المسلمة التى تحارب معركة مصيرية مع الصهيونية العالمية ..

عـداء الشيوعية للاسلامية عداء نظرى وعملى .. ولا يمكن أن تمد يدها لنـا الا اذا قصدت من وراء ذلك مصلحة من المصالح .. فليست صداقتها صداقة مبـدأ أو عقيدة ، ولكنها علاقة آثمة قائمة على المكر والخديعة والتسلل الخبيث حتى تتمكن وتضرب ضربتها وتفرض السيطرة الحمراء ، وقد تكون علاقاتها بهدف تجارى بحت فتأخذ ما تحتاجه من دولنا ، أو تفتح لمنتجاتها أسواقا لدينا ، أو لتبيع لنا الفائض من سلاحها ، أو توقعنا فى قبضة ديونها حتى تتحكم فى مصائرنا .. والبون شاسع بين العلاقات الأمريكية الأسرائيلية ، وبين العلاقات الروسية العربية مثلا . نحن لا ننكر أن لأمريكا أهدافا بعيدة أو قريبـة تؤثر فى خـطها السياسى وفى توزيـع معوناتهـا وقروضها الطويلة الأجـل ذات الربح البسـيط ، المهم أن تلك الدول أو هذه تجعل مصالحها فوق كل اعتبـار ، لكن الكراهية للاسـلامية والعداء لهـا أمر متفق عليه لدى الجميع ، ذلك العداء هو العامل المشترك الأعظم فى نظرتهم لنـا ..

الشيوعية فى نظريتها وفكرها ومنهجها وسـلوكها عـدو لدود للاسـلامية ، واذا كانت الرأسمالية تحمى حـرية الفرد ونشـاطه الاقتصـادى ، وتساعد على الاحتـكار والتحكم فى أرزاق الطبقات الدنيا ، وتستسلم لأهواء رجال المـال ، وتجعـل من رأس المال قوة مؤثرة فى السـلوك السياسى والاجتماعى ، وتطحن المجمـوع على حساب الفرد ، اذا كانت الرأسمالية كذلك ، فان الشيوعية تسحق الفرد من أجل مصلحة المجموع وترهقه بالأعباء والقهر ، وتنتزع حريته

الشخصية ، وتسوق الناس كالقطعان الى العمل والانتاج ، وتجعل للحزب ميزات وحقوقا مقدسة ، وتؤرث الطبقية فى مستويات الحزب والسلطة ، باسم توفير لقمة العيش للجميع حتى وان أهدرت حرية الفرد وكرامته ، ذلك التطرف فى الحكم من جانب الرأسمالية يمينا ، ومن جانب الشيوعية يسارا ، يؤدى الى اختلال التوازن الاجتماعى ، ويبعث الاضطراب والفساد فى جنبات الحياة السياسية والاجتماعية وينحرف بالمسار الطبيعى لنمو المجتمع وسعادته وأمنه ، ويقضى على روح العدالة والاخاء والمحبة .

أما الاسلامية فقد كانت نظرتها الى الأمر أعمق وأعدل ، فقد أعطت للفرد حقه ، كما حفظت حقوق المجتمع ، فأعطت الفرصة للمواهب الفردية كى تترعرع فى ظل المحبة والحرية ، وفى دائرة الحقوق والواجبات ، ثم انها قد أكدت العلاقات الانسانية الأخوية السامية بين الأفراد ، ومن هنا كان هدفها صنع المجتمع السعيد من مجموع الأفراد السعداء ، فلا طغيان من جانب على الجانب الآخر ، ولم تجعل الاسلامية الانتماء للحزب والاخلاص له هو الصفة التى تترفع بهذا وتهوى بذاك ، وانما جعلت التقوى والانصياع لأوامر الله هى التميز الذى يجعل للفرد مكانة سامية فى الدنيا ، وثوابا ونعيما فى الآخرة . واذا كانت المكاسب الدنيوية هى مطمح الشيوعية والرأسمالية ، فان الاسلامية قد جمعت بين الخيرين ، خير الدنيا والآخرة « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك

من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله اليك ، ولا تبغ الفساد فى الأرض » (١) .

هذه التعادلية ، أو هذا التوازن الاسلامى الذى راعى مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع ، هو سر النجاح المذهل ، والمنجزات الرائعة التى حققتها الحضارةالاسلامية فى الماضى ، وفى مقدور تلكالحضارة أن تحقق ذلك النجاح وتلك المنجزات كلما أعطيت الفرصة لها ، فى أى زمان من الأزمنة ، وفى أى مكان من الأمكنة ، وليس هذا بعجيب ، فالمذاهب الأرضية من رأسمالية وشيوعية كلها من صنع البشر ، وتعبر عن أهواء وظروف وتصورات مؤقتة ، أما الاسلامية فانها من صنع الله الذى خلق كل شىء ، وهو العليم بطبائع الناس ، وأسرار الخلق ، وحركة المجتمع ، والعوامل المختلفة التى تؤثر فى سلوك الناس ونوازعهم أفرادا وجماعات ..

ان ارتباط مناهج الفكر والسلوك بالعقيدة الدينية أمر له أهميته القصوى ، فالفرق شاسع بين انسان يعمل فى هذه الدنيا وليس وراء عمله الا تحقيق الكسب والسعادة على وجه الأرض ، وانسان آخر يدرك أن الجزاء الحق ، فى عالم آخر غير هذا العالم الذى يعيش ، فالأول له أن يكذب أو يختلس أو يظلم ، ولا خوف من شىء يناله ، اللهم الا بعض القوانين الوضعية التىكثيرا ما يفلتمنها ، أما الثانى فهو يعلم يقينا أن هناك الها يرى ويسمع كل شىء ، ويعرف خبايا النفوس ونوازعها ، ويضع الموازين القسط ليوم القيامة ، ويحاسب الناس حسابا دقيقا لا مجاملة فيه ولا تحيف ، ولا شك أن خلو

---

(١) القصص آية ٧٧

المناهج الفلسفية والأخلاقية من هـذا الوازع ، يورث الناس الكثير من الفوضى والتجبر والأنانية ، فتنبت المفاسد والمظالم التى لا حصر لهـا ، وتقود العالم الى الفناء والدمار .

ان أغلب ما كتبه الماركسيون عن الاسلام جاء بعد وضع نظريتهم، ولذلك حاولوا أن يعتسفوا البراهين ، ويختلقوا الأدلة لاثبات صدق نظريتهم وفساد ما عـداها ، ولو أن الأمر سـار فى مجراه الطبيعى ووضعوا أيديهم على أسرار الشريعة الاسلامية ، وفهموها حق الفهم لوفروا على أنفسهم الكثير من الجهد والعناء ، ولحافظوا على أرواح الملايين التى أزهقت عبثا ، ولكفوا أنفسهم مؤنة التدمير والخراب الذى شاع فى بداية وأعقاب الثورة الماركسية العمياء .

وتعصب الماركسية الأعمى لنظريتهم جعلهم يغلقون أعينهم عن كل مذهب أو فكر مغاير ، فلا يتناولونه الا بقصد التجريح والتخريب والتفنيد ، أى أن لديهم نية مسبقة ، وحكما جاهزا يصدرونه ضد أى اتجاه يخالف اتجاههم ، وهـذا منهج أبعد ما يكون عن الموضوعية والانصـاف ، واذا كانت موجهات الضـعف والتمزق التى انتابت المسلمين فى ديارهم تعتبر دليلا ضد الاسلامية ، فان ذلك الاستنتاج خاطىء من أساسه ، لأن العيب ليس عيب الاسلامية ، ولكنه عيب الرجال الذين حملوا مبادئها وشعارها ، فهؤلاء المسلمون المتقاعسون قد تخلوا عن مبادئهم ، وبعدوا عن أهـدافها ومراميها ولم يلتزموا بالعمل بها ولهـا ، وتركوا العنان لأهوائهم ومطامعهم ، فأصبحوا مسلمين اسما لا فعلا ، ولهذا نستطيع أن نقول انهم أوقفوا العمـل

بتطبيق الفكر الاسلامى ، وأصبحوا فى الواقع دون انتماء له ، فكانوا كمن يحمل السلاح ولا يعرف كيف ومتى يستعمله ، أو كالمريض الذى يحمل ألوانا مختلفة من الدواء ، ولا يدرى ماذا يستعمل ولا كيف يستعمله ، أو كمن يملك الأرض الصالحة للزرع ولديه البذور والماء والسماء ، ولا يفكر فى بذر البذور ، أو تمهيد الأرض والاستفادة منها . هؤلاء المسلمون المتقاعسون ليسوا حجة على الاسلام ، فهم يقفون — بغفلتهم وجهلهم — فى صف أعدائه فالخطأ اذن ليس خطأ المبادىء ولكنه غفلة الرجال عن تلك المبادىء وعظمتها ..

ومع ذلك فقد كان يوجد فى كل عصر فئة من الرجال الأفذاذ والعلماء العمالقة ، استطاعت أن تقف فى وجه الطوفان ، وتطلق نداءات التحذير ، وتدعو بالعودة الى الاسلامية ، لأن فيها الخلاص والحرية ، وفيها الشفاء لكل أدواء المجتمع وتخلفه ، هؤلاء الأبطال ما زال التاريخ يحفظ لهم أنصع صفحاته ، ويسجل لهم بالفخر والاعتزاز مواقفهم الخالدة فى الدفاع عن حوذة الدين وتراثه وقيمه العريقة .. كما استطاعوا أن يتطوروا مع الزمن ، ويحاربوا جمود الفكر والتعصب ، وظلوا مستميتين فى مواقعهم لا يرهبون بطشا ولا وعيدا ، ولا يعبأون بارهاب أو تعذيب . « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا » (١) هؤلاء لم تغرهم الدنيا ببريقها ، ولم تستهوهم البدع المستوردة ، ولا الحيل الخبيثة ، فما انصرفوا عن

---

(١) الأحزاب آية ٢٣

الجادة ، ولا حادوا عن الطريق ، بل ظلوا أمناء أوفياء لعقيدتهم ودينهم ، ولا شك أن هذا الصمود المذهل يعتبر معجزة فى حد ذاته ، لأن تكاثر الأعداء ، وامتلاكهم لناصية القوة والقول ، واستعدادهم بكل فتاك وقاهر من السلاح والأدوات الحديثة الجهنمية ، واتباعهم أحدث الأساليب الفكرية والدعائية ، وتربعهم فى مواقع الحكم والسلطة ، لأن كل ذلك لم يمكنهم من القضاء على الاسلامية وتغلغلها فى النفوس ، والاحتفاظ بنفوذها وتأثيرها على العقول والأرواح ..
« انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » (١) .

الاسلامية اذن لا تحابى الأغنياء على حساب الفقراء ، ولا تمالىء الفقراء لضرب الأغنياء ، ولا تضع بذور حرب شعواء بين الجانبين ، ولا تنمى مشاعر الحقد والصراع الدامى بينهما ، فالأغنياء والفقراء أخوة فى الله ، لكل منهما حقوق وواجبات مستمدة كلها من كتاب الله وسنة رسوله واجتهاد المجتهدين المخلصين من علماء المسلمين ، ولو أمكن تطبيق الاسلامية تطبيقا صحيحا لما كان هناك وجود لمشاعر الأنانية والحقد بين أفراد المجتمع المسلم ، وللحاكم المسلم الحق ، أن يرعى ذلك التوازن الاجتماعى والاقتصادى بالأسلوب السليم النابع من المفاهيم والتصورات الاسلامية القويمة ، وعلى علماء الأمة أن يجتهدوا فى ذلك ما وسعهم الاجتهاد حتى يحفظوا لذلك التوازن سماته وآثاره الايجابية البناءة ..

---

(١) الحجر آية ٩

نعود فنقول ان الماركسية من ألد أعداء الاسلامية ..

وان ذلك العداء يتزيى بمسوح العلم والموضوعية ، وهو أبعد ما يكون عن المنهج العلمى أو الموضوعية المنصفة ..

وان ذلك العداء مرتبط بنظرة كل منهما الى الآخر .. فالماركسية أرض والاسلامية سماء .. وشتان بين الأرض والسماء ، والماركسية أفرزتها عقول مسممة مريضة حاقدة ، والاسلامية قد نزل بها الوحى من عند الله خالق الأرض والسماء ، وهى وحى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .. والماركسية تجربة مريرة تنضح بالظلم والقسوة وسحق ارادة الانسان وكرامته وحريته ، والاسلامية تجربة حية ، تتألق بكل نبل ووقار ومحبة وطهارة وعدل ، والماركسية سيف مسلط على رقاب العباد ، يستغلهم ويستعمرهم ويستنزف ثرواتهم باسم الطبقات الكادحة ، ويوقع بهم الاذلال والخوف ، أما الاسلامية فهى « رحمة مهداة » ، تدعو الناس بالحكمة والموعظة الحسنة ، وتفتح البلاد لتشرق عليها أنوار العدل والاخاء والايثار ، ولا تكرههم على اعتناقها بل « لكم دينكم ولى دين » (١) ، والجميع شركاء فى العمل والخير والرزق ، تنظم العلاقات الأخوية بينهم قواعد ومبادىء نزل بها الروح الأمين .. واذا كانت الماركسية دنيا ، فالاسلامية دنيا ودين وآخرة .. واذا كانت الماركسية قوانين صارمة جائرة ،

---

(١) الكافرون آية ٦

فالاسلامية ضمائر حية ، وشرائع رحيمة ، لا تجنح للهوى ، ولا تميل مع شطط النفس وانحرافها وعقدها السوداء ٠٠ « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ٠٠ » (١) ٠

انه أمر مستحيل الوقوع ، فليوفر فلاسفة الماركسية جهودهم الماركسية بالاسلامية ؟ ؟ ٠٠

انه أمر مستحيل الوقوع ، فليوفر فلاسفة الماركسية جهودهم الضائعة فى سبيل خداع المسلمين ، وليجمعوا أوراقهم ومؤلفاتهم المتناقضة وليذهبوا بعيداً عن ديارنا ، فلن يفرط المسلمون فى عقيدتهم مهما كان الثمن ، ومهما كانت الظروف ، لأن المسلمين يؤمنون أن الخير كل الخير فى استمساكهم بعقيدتهم ، وأن فيها الخلاص حينما تتأزم الأمور ، ويشتد الكرب ، ويتكاثر عليها الحاقدون والطامعون ، وأن النكسات التى تصاب بها الشعوب الاسلامية ليست كوارث أبدية ، وانما هى مجرد صدمة ليفيق الغافلون ، ويتنبه النائمون ، وعندما تأتى اليقظة الكبرى فسوف تندثر كل الترهات والأكاذيب ، وتنمحى كل ألوان الزيف والأباطيل ، وتصبح كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى ٠٠

وما ذلك على الله ببعيد ٠٠

(١) البقرة آية ١٣٨

كلمة أخيرة

ان أعداء الاسلامية كثيرون ، منهم من ذكرنا ومنهم من لم نذكر ، غير أن شجرة العداء تثمر الكثير من المفاسد والأحقاد ، وأغلبه التيارات المعادية تنبع من مدارس الالحاد والاستعمار الصليبى والصهيونية والشيوعية ، وكذلك من المذاهب المستحدثة فى الفكر والسلوك كالوجودية والعلمانية الكافرة والاتجاهات الفردية المتطرفة التى تجعل من الانسان الهـا يتعبد ذاته ، ويقدم القرابين والطقوس الشاذة لأهوائه ونزواته فى محراب اللذة الفانية ، والأطماع التافهة •

وذلك العداء للاسلامية ليس من صنع دعاة الفكر الاسلامى ولا من مبادئهم ، فلبس فى الاسلامية عداء لذات العداء ، فالاسلام محبة وصفاء وسلام ، يفتح ذراعيه لكل الشعوب جماعات وأفرادا • والقاعدة الأساسية للمسلم «أن يحب المرء لا يحبه الا لله، وأن يكره لا يكرهه الا لله » ، فنظرة المسلم لغيره ممن يحملون المبادىء التى تخالف شريعة الله وأوامره نظرة رفض لكل ما هو فساد وضلال ، والعلاقة اذن بين المؤمن والكافر علاقة تتسم بالحكمة والموعظة الحسنة ، وليس فيها اكراه أو فحش أو افتئات ، ولا يرفع الاسلام سيفا الا فى وجه من يعتدى عليه أو يهدر كرامة الانسان وحريته ••

وقد يطرح البعض سؤالا هاما ألا وهو :

كيف تواجه الاسلامية أعداءها ؟ ؟ .

هــذا السؤال ذو أهمية كبرى ، ونستطيع أن نوجز موقفنا من حملات الحقد والعداء على النحو التالى :

أولا – يجب أن تحسن فهمنا لديننا وندرسه بكافة الوسائل ، وأن نعقد الدراسات المقارنة بينه وبين غيره من الأفكار والفلسفات والنظريات المختلفة ، وذلك يحتاج لجهد جهيد ، واخلاص عميق ، وصبر طويل ، وتضحية متصلة ، من هنا ننطلق فى معركتنا ضــد العدو من قاعدة علمية أصيلة ، ومن ايمان عميق بما نعلم ، وبذلك نستطيع حمل الأمانة الغالية التى جعلها الله منوطة بأعناقنا .

ثانيــا – يجب أن يكون الداعية مسلما قولا وعملا ، بحيث يصبح صــورة حية متحركة للاســلام ، وبذلك يعطى المثل الأعلى والدليل الأكيد على صدق المبادىء وعظمتها ، ويحقق بذلك معنى الاسلامية فكرا وسلوكا .

ثالثــا – ان لعدونا أسلحة تبــدأ من الكلمة وتنتهى بالســلاح الحديث أيا كان نوعه ، ومن ثم فاننا مطالبون بأن ندافع عن مبادئنا وكياننا بنفس السلاح الذى يشهره العــدو فى وجوهنا ان لم يكن أقوى من سلاحه ، ولا ندخر وسعا فى أن نحقق لأنفسنا القوة المادية والمعنوية فى هذا السبيل .

رابعــا – ان استعدادنا للمعركة يجب أن يكون متكاملا فى شتى المجالات .. مجالات الفــكر والفن والسياسة والاقتصاد والاعلام ،

وبذلك نعيش عصرنا ، ونعيش المعركة الضارية التى يشنها العدو ٠

خامسا ـ ان المعركة لا يكفى أن تكون على مستوى الغيورين على الاسلام ، أو المتحمسين له ، بل يجب أن نستعد لها شعوبا وحكومات ، أفرادا وجماعات فى شتى أنحاء العالم الاسلامى ، ولا بد أن نقنع الحكومات المسئولة بذلك مهما كانت الوسيلة ، وهذا يقتضى أخذ الأمر مأخذ الجد ، وتحديد المواقف تحديدا فاصلا ٠

سادسا ـ يجب أن يكون الهدف واضحا ، وهو اعلاء كلمة الله فى الأرض ، ومعنى ذلك أن يتحرر المسلم من عبودية وخوف وغرض يتنافى مع الهدف الأسمى ، كما يجب أن يكون الرسول هو الأسوة الحسنة ، والمثل الصادق الذى نسير على هداه ، ونتتبع طريقه : « لقد تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا : كتاب الله وسنتى » ٠

سابعا ـ علينا أن نعمل جاهدين على « أسلمة » البيت والشارع والمصنع والمدرسة والصحيفة والاذاعة والتليفزيون ، ودواوين الحكومة والمتاجر ، وبهذا يكون لدينا المجتمع المسلم القادر على حمل رسالة الله ، وتحقيق الهدف ٠٠

ثامنـا ـ يجب أن يكون عطاؤنا أكثر من أخذنا ، وبذلك يتحقق معنى التضحية والجهاد فى سبيل الله ، لأن المحصلة النهائية فى الواقع ستكون كسبا كبيرا ، وثوابا عظيما أكثر بكثير من أى عطاء تقدمناه ٠

تاســعا ـ لابد من تحصين أو تطعيم أنفسنا ضــد تلك الأوبئة الفكرية بالتربية الصحيحة ، والتراث الكبير ، وبالمناهج السليمة فى تنشئة الأجيال ـ وخاصة الشباب ـ لأن درهم وقاية كما يقولون خير من قنطار علاج ٠

عاشرا ـ المـرأة والطفل لهما اعتبــار خاص فى برنامج العمـل الاسلامى والتربية الاسلامية ، لأن المرأة فى مجتمعنا الاسلامى قد سقطت فريسة الكثير من التقــاليد المستوردة ، والعــادات المدمرة ، وأصبحت ملابسها وسلوكها وقيمها العــامة التى تحكم حياتها ، وتصرفاتها الاجتماعية ، محببة لكل اضطراب واعوجاج فى كيانها النفسى والجسدى ، وبالتالى أصبح طفلها صورة صادقة لذلك الخلل كله ، مما سيكون له أسوأ الآثر على مستقبله وموقفه ٠٠

* * *

ان مظلة الحرية التى تنشر جناحيها على الأمة هى الكفيلة بأن تجعل الفرصة سانحة لترعرع القيم الاسلامية وسيادتها ، ومن هنا كانت دعوتنا الدائبة الى الشعوب والحكومات كى تمكن لهذه الحرية وتحميها بكل ما تملك من قوة ٠

● مسألة أخرى يثيرها البعض قائلا :

ألا يتعارض وجود الشريعة الاسـلامية والمناهج الاسلامية مع مصلحة الأقليات غير المسلمة فى الدول الاسلاميـة ؟ ؟ ٠٠

والواقع أن هذا سؤال يبعث الضحك ، ففى كل دولة من دول العالم أقليات ، فنرى فى أوربا وأمريكا والهنـد وروسـيا وغيرها أقليات

اسلامية ، ومع ذلك فان هذه الاقليات لم تمنع تلك الدول من أن تتخذ لنفسها الدساتير والقوانين التى تحقق مصالحها ، ولم يكن وجود الأقليات الاسلامية حجر عثرة فى طريقها ، فضلا عن أن اسـلامنا لم يغفل حقوق الأقليات غير الاسـلامية لدينا ، فلهم حـرية التفكير والعبادة ولهم محاكم للأحوال الشخصية طبقا لشرائعهم ، وليس معنى وجود ٥ ٪ مثلا من غير المسلمين أن تكون سببا فى تعطيل سـيادة الاسلامية بالنسبة للغالبية العظمى (٩٥٪) ٠٠ فهل نستطيع أن نقول ان رغبات غالبية الشعب يعتبر لونا من التعصب والطائفية ؟؟ ثم ان أوامر الله فوق كل اعتبار ٠٠ فوق أهواء البشر وأطماعهم ٠٠ لأنها أساسا قائمة على العدل والسعادة لهؤلاء البشر ، بل لا يصح أن يكون هناك استفتاء على شريعة الله ، لأنها نزلت للتطبيق ، ولم تنزل لأخذ رأى الناس فيها ، كل ما هنالك أن نقدمها للناس بالاقناع والتفاهم وسبحان الله « ليس كمثله شىء » ٠

● نقـطة أخـرى ٠٠

ان الاسلام ليس عدوا للتقدمية ، بل ان مبادئه السامية بلغت من السمو والعدالة والانصاف وتحقيق الخير أقصى درجات التقـدم ، فهى هدف نبيل يسعى اليه كل ذى عقل سليم ، وضمير حى ، ولم يقف الاسلام فى تاريخه الطويل عقبـة فى سبيل التقـدم العلمى أو حرية البحث والتجارب والمناقشة ، بل وضع لذلك كله الأصول والتقاليد الخالدة التى تحميها من الشطط والانحراف ، كما أن الاسلام يهتم « بالمضامين » الفكرية السليمة ، ولا يقف حجر عثرة فى تطور

« الأشكال » الفنية أو المناهج العلمية والفكرية ، فهو يهتم بالجوهر ولا يتعنت بالنسبة للمظهر ، وان كان الاسلام فى عمومياته ، يجعل الوسيلة جزءا من الهدف ، والمظهر غطاءا للجوهر ، فالكل وحدة واحدة، وان اختلفت الدرجة من حيث القيمة ‥ الاسلام يريد من المسلم أن يكون نظيف القلب والفكر والطوية ، ويريد منه فى نفس الوقت أن يكون نظيف الثياب والجسد ، منسق الشعر والهندام ‥ ويوصى بالتطيب حتى تكون الرائحة طيبة ، ويقول لأتباعه : « نظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود » ‥ صورة نبيلة سامية ‥ أسمى ما تكون الحضارة ‥ وأسمى ما يكون السلوك ‥

* * *

اننى أنظر اليوم فأجد أن المعركة قد احتدمت بين الاسلامية وأعدائها‥ ومن واجبنا كمسلمين ألا نقف أزاء هذه المعركة متفرجين. لأن الأمر يرتبط بمصيرنا ومصير أجيالنا القادمة ‥ وكل مطالب بأن يقول شيئا ‥ ويفعل شيئا ‥ فلا أقل من أن نبدى الرضى عن كل ما هو شريف ومستقيم ، ونظهر السخط على كل ماهو منحرف ضال. ولا أقل من أن تنفعل قلوبنا ان حبا أو كرها لكل ما يحيط بنا ‥ وهذا أضعف الايمان ‥ والمسافة بين أضعف الايمان وأقوى الايمان طويلة شاسعة لكل مسلم أن يتخذ الموقع الذى يناسبه ‥

ألا هل بلغت ؟ ؟ اللهم فاشهد ‥

نجيب الكيلانى

محتويات الكتاب

* * *